وريقات من مذكرات مصري مغترب

ج١

محمود نجم

وريقات من مذكرات مصري مغترب ج١

محمود نجم

الطبعة الأولى ، ٢٠١٠

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١ش المعهد الديني ، المرج

هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ – ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

محمود نجم

تدقيق لغوي :

محمد أبو عوف

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/١٠٦٦٦

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٦٢٩٧- ٠٣٣- ٣

وريقات من مذكرات مصري مغترب

الجزء الأول

محمود نجم

الطبعة الأولى

٢٠١٠



دار اكتب للنشر والتوزيع



إهداء

إلى أسرة الوريقات على منتدى الأستاذ:

عمرو خالد

والذى شهد ميلاد الكتابات عام ٢٠٠٤



مقدمة

إذا كنت قد حددت هدفك ..

وتفكر في تحقيقه من خلال الغربة والسفر ..

فهل تقبل مني قبل اتخاذ القرار بعض مما علمتني الغربة إياه ؟!!

ربما تبدو كلماتي ثقيلة ..

وقد لا تأتي على هوى النفس ..

بل ومن الممكن أن تنكئ جراحًا عند البعض الآخر !!

فالغربة أعظم مدرسة يمكن أن يتعلم منها الإنسان ..

وأنا شخصيا لست ضد الغربة ..

فما تعلمته في الغربة لم يكن لي أن أتعلمه

حتى وإن عشت في مصر أضعاف أضعاف عمرى ..

ولكنى أحاول هنا فقط توضيح حقيقة هامة

وهى أن مدرسة الغربة قاسية ..

ومناهجها عسيرة ..

وامتحاناتها لا ترحم ..

ولاتفرق بين الطالب الضعيف والمتوسط والممتاز ..

الكل أمام الامتحان سواء ..

وذلك حتى يعرف كل مُقدم على تلك التجربة بتبعات قراره ..

فيختبر إرادته ..

ويسأل نفسه ..

ويعيد عليها السؤال قبل اتخاذ القرار ..

و ما دفعني للكتابة

هو وجود هذا الطموح الجامح عند كثير من الشباب

الراغبين في الدراسة أو العمل في الخارج ..

غير ملتفتين لتبعات هذا القرار من أعباء نفسية واجتماعية !!

أما بالنسبة لتجربتى الخاصة ورؤيتى لها ..

فسوف أقوم بكتابة ذلك هنا على أجزاء ..

علّنى أفيد الآخرين بشئ من الخبرة ..

ولكن فى النهاية بقى لكل مقال من مقالات الكتاب

ثلاثة أبعاد مختلفة ..

بعدها الأول البسيط كونها تبدو وريقات من مذكرات إنسان

انجذب إليها محبو قراءة المذكرات الخاصة وأدب الرحلات ..

ولكنها حوت فى طياتها خبرات الغربة وأسبابها ..

وهو البعد الثانى والهدف الثانى لى شخصيًا من كتابتها ..

بينما ظل دائمًا البعد الثالث لكل مقال خفيًا قويًا ..
يتعرض لمشهد من المجتمع المصري بتحولاته ومشكلاته المختلفة
وذلك من خلال نفس الوريقات والأحداث والخبرات ..
فكانت وريقات من مذكرات ..
ووريقات من الغربة ..
وهى ذاتها وريقات من مصر ..
وقد عبر عن ذلك عنوان الكتاب ..
وريقات من مذكرات مصري مغترب ..

يبدأ الحديث هنا فى هذا الكتاب
والذى يعد الجزء الأول من سلسلة وريقات
بكتابات (على اسم مصر)
أتناول فيها صدمة الغربة الأولى ..
وبحث مبدئى عن أهم أسباب الغربة ..
وليس كل أسبابها ..
وذلك من خلال التعرض لبعض مشكلات المجتمع المصرى
خلال الأعوام الأخيرة من تاريخه ..
وهي التى أدت بدورها للغربة والهجرة ..

و أحب أن أؤكد هنا على أمرين ..

أولهم ..

أنني لا أقوم هنا بكتابة مذكراتي ..

بل أحاول نقل بعض خبرات الغربة من خلال أحداث ..

سواء كانت على المستوى الشخصي ..

أو من خلال ما شاهدته بنفسي مع الآخرين ..

أما الأمر الثاني ..

فهو أن كل إنسان عندما يروى تجربته الخاصة ..

يرويها من رؤيته هو ..

قد تكون صحيحة وواقعية من وجهة نظره هو ..

ولكنها ليست كل الصح ..

ولا كل الواقع ..

وتبقى النسبية هي المقياس الأساسي فى الحكم !!!

ولكن فى النهاية بقى السؤال حائرًا ..

ولم أجد له إجابه ..

هل هى وريقات من مذكرات إنسان ؟!!

أم وريقات من خبرات الغربة ؟!!

أم وريقات من ذاكرة الوطن ؟!!

أسأل الله أن يجعلني لا أنطق إلا بالحق ..

وألا أكتب إلا ما يوضع في ميزان الحسنات ..

وفقنا الله جميعًا لما يحب ويرضى ..

محمود نجم



١. من هنا يبدأ الحوار

تستهويني الكتابة دائما مع بداية كل يوم من أيام الجمعة..

فيوم الجمعة هو أفضل الأيام عند الله تبارك وتعالى .. وهو يوم يحمل في نفحاته مشاعر الدفء الأسرى ..

حنان الأم المضحية وهي تجهز الإفطار .. وتقوم بترتيب البيت من جراء مذبحة سهرة يوم الخميس..

حيث تناثرت مخلفات السهرة في كل مكان .. لب .. سوداني .. اللي أتعشى وساب طبقه ..

وهناك من ترك الكتاب منكبًا على وجهه وكأنه ساجدًا على الأرض ..

حالة مأساوية لبيت مصري تقليدى .. ينبض بالمشاعر الرقيقة .. بل وتقوم تلك الأم البائسة بتجهيز طعام الأسبوع كله .. فهى المرأة العاملة المظلومة والمطحونة .. والمكتوب عليها دائمًا وأبدًا بألا يشعر الرجال بما تبذله من أجل أسرتها ..

فلو شعر الزوج الشرقي حقًا بكم المجهود وحجم المعاناة لوضع لها تمثالاً في البيت !!

- إصحى يا بنى ..

إصحى الساعة بقت عشرة .. طبعًا أكيد سهرا نين لغاية واحدة بعد نص الليل !!!!

- لا .. سهرنا للفجر

- ونمتوا من غير ما تصلوا ؟!!!!!!!!!!

- يا ماما ليه الهجوم اللي على الصبح ده .. الحمد لله صلينا .

- طب يالا قوم

- يادى النيلة ..

يا ستي بقولك سهرنا للفجر عشان تسيبيني نايم شوية مش عشان تقوليلى قوم !!!!

وبعدين ما تروحى تصحي البشر التانية الأول .. اشمعنى أنا أول واحد ؟؟!!!

- لا طبعًا .. إنت الأول .. إنت الكبير

- يا ستى أنا أصغر واحد وأعيل واحد فى البيت .. بس سيبينى نص ساعة كمان ..

- ما تقوم يا بنى بلاش دلع .. عايزين حاجات الفطار .. وأنهض مستسلمًا لقدرى .. فهي طقوس إفطار يوم الجمعة ..

إحضار العيش والفول والفلافل والجرائد !!!

ثم يأتي صراع أفراد الأسرة من أجل الفوز بالعدد الأساسى من جريدة الأهرام ليكون له السبق في قــراءة بريــد الجمعــة للأستاذ عبد الوهاب مطاوع ..

ويستسلم أصحاب النفس القصير في هذا الصراع بالتــصبر بالملحق .. أو حتى بملحق أخبار السيارات !!!

– ياولاد يالاّ .. الفطار جاهز .. سيبوا الجرايد دلــوقتى وابقوا كملوا بعدين !!

وكما تعودت الأسرة .. نفطر سويًا.. وهذا لا يتحقــق إلا في هذا اليوم المفترج ..

وما يلي ذلك من توسلات الأب بسرعة النهوض وعــدم التأخر لأن ثواب صلاة الجمعة (قبل الخطيب ما يطلع علــى المنبر)

– قوم يا بنى يالاّ .. الصلاة حتبدأ .. الثواب قبل الإمام ما يطلع على المنبر!!!

– حاضر ..

روح بس أنت أتوضا وحتلاقينى جاهز .

ولا يحلو المزاح مع الأخوات إلا بعــد إفطــار الجمعــة .. فالبيت تطل عليه نفحه عجيبة من الراحة والطمأنينــة.. ســر مكنون لا يعلمه أحد حتى الآن ..

وكتر مفقود في الغربة لــن تجــده إلا بــالرجوع لــدفء الأحضان

- أنت لسه ما خلصتش الحكاوي بتاعتك ؟!!!!

أنا نازل .. سلامو عليكم

- استنى بس دقيقة واحدة !!!!اعاجبكوا كدة !!!!

***

هل أدركتم من أى نقطة أريد أن أبدأ الحوار ؟؟

لا يسعد الإنسان بالمكان .. وإنما يسعد الإنسان بالإنسان..

هكذا علمني أستاذي عبد الوهاب مطاوع في كتاباتــه .. وهو أول شيء تسلبه منك الغربة .. من تحب.. إنــني أجهــز إفطار يوم الجمعة ..

أجهزه بنفسي ولنفسي .. كي أفطر وحيدًا .. أقــرأ بريــد الجمعة للأستاذ عبد الوهاب مطاوع ..

نعم .. في الإنترنت.. ولكن .. أين تعليقات الآخرين ؟!!!!

ومع من سأناقش تلك التجارب الإنسانية الرائعة

علّنا نتعلم شيئا ممن علمتهم السنين واعتــصرتهم الحيــاة!! أجهز نفسي للصلاة قائلاً ..

- يالا بسرعة .. الثواب قبل الإمام ما يطلع على المنــبر ولكن .. هل سأذهب وحدى للصلاة ؟!!!

ودون الوالد الحبيب الذي ينتظرني دائمًا !!

اختفت الجرائد كلها !!!! واختفى معها يوم الجمعة !!!!

إيه ده !!!!!! ياخبر .. ده التليفون بيرنّ .. أنا سـرحت ولا إيه ؟!!!

- آلو ...

- إيه يا ابني ؟

التليفون بيرنّ من زمان !!!!!!!

أنت كنت نايم ولا إيه ؟ !!!!!

- لا أبدًا ..

كنت بفطر ونازل أهو أصلي ...

حشوفك في الصلاة إن شاء الله ؟؟

- ما أنت عارف أنا مش بصلي الجمعة عشان عندي سيكشن !!!!

- والله نسيت .. افتكرت النهارده أجازة كالمعتاد .. قولي.. هو الجو إيه النهار ده ؟؟

- درجة الحرارة ٥ تحت الصفر .. ما تنساش تاخد الجوانتي والكوفية ..

- إيه ده !!!!! ٥ تحت الصفر !!!

ده أنا كنت بحسب النهاردة الجو دفا !!!!

- دفا !! إنت نايم ولا إيه !!إنت هنا في ألمانيــا .. الـــدفا هناك .. الدفا فى مصر !!

ووجدتني أرددها وراءه دون أن أدرى .. بل وأشعر بكـــل حرف من معانيها ..

- عندك حق .. الدفا هناك .. الدفا فى مصر !!!!!

٢ . عند أول فراق ..

هل أنت إنسان آخر ؟!!!

" تعلن شركة الخطوط الجوية الألمانية (لوفت هانزا) عن قيام رحلتها رقم ٢٦١ والمتجهة إلى فرانكفـورت .. علـى حضرات السادة الركاب التوجه إلى صالة السفر رقم ٢ "

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثالثة من صباح يوم جديد لشهر أغسطس .. حيث اعتاد الطقس في تلـك الفتـرة مـن الصيف على أن يقسو بعض الشئ على سكان مصر عامـة .. ومدينة الإسكندرية بصفة خاصة .. بل وفى هذا اليـوم علـى أسرتى بالذات ..

الحرارة مرتفعة .. النسمات قليلـة .. والجـو مـشحون بالمشاعر ..

- مسافر فين إن شاء الله ؟!
- المانيا بإذن الله
- واضح من التأشيرة أنك مسافر دراسة !!
- بالضبط حضرتك

– بالتوفيق يا بني .. احتفظ بكعب تصريح السفر ده لغاية باب الخروج من المطار ..

ربنا معاك ..

تسلمت جواز سفرى من ضابط الجوازات بالمطـــار وهـــو يدعو لى بالتوفيق ..

كان آخر شخص دعا لى قبل أن أخرج من أرض المحروسة وما هى إلا لحظات حتى وجدت نفسى أربط حـــزام الأمـــان داخل الطائرة استعدادًا للإقلاع من تراب مصر إلى المـــستقبل المجهول !!!

الأحداث تتلاحق .. ولم أعرف طعـــم النـــوم في الأربـــع والعشرين ساعة الأخيرة قبل سفرى ..

– لو سمحتى حضرتك .. عندي صداع رهيب .. ممكـــن أسبرين ؟ !!

– أكيد طبعًا ... دقايق وحيكون عندك .

أسندت رأسى إلى النافذة وأغمضت عيني قليلاً على أستريح بعض الشئ من هذا الصراع الدامى والذى لم يتوقف طـــوال الأيام الماضية ..

كيف استطعت أن أترك أهلى وأخواتى وأرحل ؟!!

كيف استطعت أن أودع تراب مصر..وبحر الإســكندرية وذكريات عمر مضى.. هي حصيلة ثلاثة وعشرين عامًا !!!!!

هل أنا إنسان آخر ؟!!

رجعت بذاكرتى إلى الأربع والعشرين ساعةً الأخيرة .. تلك الساعات الرهيبة .. والتي تتابعت فيهــا الأحـــداث بـــشكل درامى.. واكتسحت خلالها جرافات السفر كل ما اعتـــرض طريقها من مشاعر .. وذكريات .. وتوسلات .. من داخـــل نفسى أولاً .. ومن نظرات الأب والأم والأخوات !!!!

نعم .. لقد اكتسحتها تمامًا.. وبــلا رحمـــة .. جعلتـــها والأرض سواء !!

تلاحقت الأحداث بسرعة البرق وبـــلا توقـــف .. فقـــد حصلت على التأشيرة يوم الأربعاء وكان عليّ أن أسافر فجـــر الخميس .. أي في اليوم التالي مباشرة .. حيث هناك امتحـــان مصيري ينتظرنى يوم الجمعة أى في اليوم التالي مباشـــرة أيـــضًا سوف يتحدد معه مستقبلى .. وما إذا كنت سأقبل بالجامعـــة وأستطيع بدايه الكفاح من أجل تحقيق حلمى بالحصول علـــى مقعد لدراسة الطب أم سأعود إلى مصر بخفيّ حنين !!!

فقد كنت في اتجاهي لخوض صراع رهيب .. ولكن من نوع آخر ...

– آلو .. أيوه يا ماما ربنا وفقني وأخدت التأشيرة

وبصوت يحمل فرحة المفاجأة ...

– بجد يا بني .. الحمد لله

– أنا حروح دلوقتي أشترى شوية حاجات ناقصاني

– أنت يعنى خلاص حتسافر النهاردة الفجر ؟؟

– أيوه .. كده طيارتى الفجر الساعة ثلاثة ..

واحتبس صوتها للحظات.. ثم تداركت الموقف..

– طب هات حاجاتك بسرعة وتعالى .. ماتتأخرش !!!

وأحسست بأول مرارة في حلقى بعد تلك المكالمة .. بدأت رأسي تدور .. فقد كان هذا يعني أننى بعد أقل من ١٤ ساعة سوف أرحل !!!

وهناك فارق كبير بين أن تتخيل الشئ وبين أن تعيشه واقعًا ملموسًا !!!

ولهذا قال الله تبارك وتعالى في محكم آياته ..

(كلا لو تعلمون علم اليقين .. لترونّ الجحيم . ثم لترونها عين اليقين)

فشتان بين أن تعرف .. وبين أن ترى وتعيش بنفسك !!!

عدت إلى المترل .. وإذا بأبي يفتح لى الباب .. ابتسم لي ابتسامة الأمل والتشجيع .. كان قويًا شامخًا كعادته .. ولكنى أحسست لأول مرة في حياتى بأنة يتمزق من داخله ..

حاول جاهدًا أن يخفى عني هذه المشاعر .. ولكنى سمعتها مع نبضات قلبه عندما احتضنني ليهنئني بالتأشيرة ..

شعرت بجبال تنهار داخله .. فيغطي صوت صخورها المنهارة على دقات قلبه الحزينة ..

– الحمد لله يا بنى .. ربنا يوفقك في طريقك ..

– ها نفسيتك إيه ؟!!!

كان سؤالاً عجيبًا !!!!

فقد شعر بحاسة الأب أنني بدأت أيضًا أرتعد من الداخل ..

فأراد أن يشحذ الهمة .. ويعطيني الثقة ..

– الحمد لله .. يمكن بس أكون قلقان شوية !!

ورمقته بنظرة .. فوجدت في عينيه نظرة التحدى .. وكأنه يريد أن يرى حصاد سنين تربيته لابنه الوحيد في تلك اللحظة الحاسمة .. فأردت ألا أخيب ظنه .. ونظرت في عينيه نظرة الثقة والأمل في الله ..

– إن شاء الله مش حخيب ظنك !!!

كانت أمي و أخواتي يجهزون لي كل شئ .. شنطة سفري يحملونها بكل ما يتوقعون أنني ربما قد احتاجه في الغربة ..

ملابس .. أدوات .. حتى الخيط وإبرة الخياطة ..

ذهبت الى المطبخ لأجد أمي على حالها الدائم في كفاحها المستمر ..

- بتعملي إيه بس يا ماما دلوقتي ؟!!

- بص .. أنا بعملك شوية قراقيش عشان تفطر وتتعشى منهم .. وأهو يبقوا معاك لغاية ما تعرف الأكل هناك هيكون إزاي .

- يا ستي وبتتعبي نفسك ليه بس دلوقتي ؟!!

- يا بني طب خليني الحق أتعبلك قبل ما تسافر .. يا عالم هتلاقي مين هناك يعملك حاجة !!!!

احتبس صوتها .. وفاضت عيناها .. واستدارت عني حتى لا أرى دموعها .. في تلك اللحظات فقط من حياتك تشعر بمزيج عجيب من المشاعر .. تشعر بأنك مركز الأنانية .. ومستقر الدونية !!!

فكل هؤلاء الأحباء لا يريدون سوى سعادتك .. ويؤثرون مصلحتك على رغبتهم بأن تبقى معهم ليأنسوا بك نصبوا من أنفسهم جنودًا لك ..

يجهزوا لك كل شئ .. ثم تشعر بحقيقة مشاعر الحب وأنت تنتزع من بينهم قطعة قطعة .. مع اقتراب ميعاد سفرك ساعة بعد ساعة !!!

ألهذه الدرجة قيمتي عند هؤلاء البشر ؟!!

ثم تشعر في تلك اللحظات وكأنك قلب والدك .. ورئة والدتك .. وعقل أخوتك.. فكيف لهذا الجسد أن يعيش بدونك ؟ !!!! وتحدثك نفسك ..

طب ما تفكر تانى.. إيه اللى حيحصل يعنى لو ماسافرتش؟

أنا عندى هنا كليتى ودراستى وممكن أكمل هنا .. وممكن أحاو ....

- تعالى كده شوف إحنا رتبنا الشنطة إزاى ..

- إيه ده !!!! انتوا رتبتوا كل حاجة ؟!!!

تتلاحق الأحداث بحيث لا تجد وقتًا للتفكير .. انتهى وقت التفكير !!!

وكانت المشكلة الأخرى في اثنين من الأخوات .. ارتبطوا بي لدرجة الصداقة المتينة .. نتناقش ونتحاور .. ونتعلم سويًا من بعضنا البعض .. فقد كنا ولازلنا أوفى الأصدقاء !!!

هل لي أن أفكر ثانية .. أراجع نفسي علني أست.......

- محمود تعالى .. خالو هنا عشان يسلم عليك ويوصـــلك للمطار !!!!

يا إلهى ... لماذا تلاحقنى الأحداث هكذا !!!!

تمر تلك الساعات بسرعة البرق .. لم أتمـــنّ المـــستحيل في حياتى إلا فى هذا الوقت .. فقط أن تتمهل ســـاعة الـــزمن .. تستريح قليلا .. علي ألتقط أنفاسى .. وأستريح أنا معها ..

ربما أعدل عن قرارى ..

من أنا ؟!!

هل أنا إنسان آخر ؟ !!!

لم أعرف معنى الأنانية في حياتى..

فلماذا تصبح الآن هى واقع حياتى ؟ !!!

- يالا يا جماعة .. مفيش وقت .. الساعة بقت واحدة .. يادوب نلحق نروح المطار!!

أودع جنبات منزلنا الحبيب.. وأركب الـــسيارة فى اتجـــاه مطار الإسكندرية عيناى ترمقان الطرقات فى تلـــك الـــساعة المتأخرة من الليل وأنا لا أصدق.. تمر الدقائق .. والتـــساؤلات لا تتوقف .. كيف أدركت نفسى تلك الصلابة والقسوة ؟!!

هل أنا إنسان آخر ؟ !!!

نصل المطار .. وتأتي اللحظات الحاسمة والأخيرة

- مش حنوصيك ..

لو احتجت أي حاجة .. مالكش دعوة .. بس أدينا تليفون

ووسط هذا الخضم من التضحيات والمـــشاعر المتفجـــرة .. لا تشعر إلا بأنك مزيج من الأنانية والقـــسوة .. فأنـــت الـــذى حكمت على أحباءك بالإعدام .. وأنت الذي تنفذ الآن هـــذا الحكم بلا شفقة أو رحمة !!

ثم تأتي اللحظة الحاسمة كى تودعهم الوداع الأخير .. فـــلا تعرف بمن تبدأ .. وبمن تنتهى ..

تمشى الدورة لتحتضن الأم ..

ثم الأخت

فالأخت..

وأخيرًا الأب ..

وتسمع بكاء الأم ..

فتعاود ثانية لتحتضنها ..

إيه ده ؟!!! طظ ف ميييييية سفر، ومييييييييية غربة !

أنا مش مسا ....

- يالا يا بنى .. يالا كفاية كدة..

كان صوت خالى والذى دفعني لآخذ العربـــة بحقـــائبي .. وأخذها و لم أنظر ورائى .. بل اندفعت نحو صـــالة المطـــار .. شعرت بأن ورائى عمارة تنهار .. تماما كما تنهار العمـــارات التي يقومون بتفجيرها بالديناميت .. فتسقط دفعة واحـــدة .. جثة هامدة .. نعم ..

انهارت خلفى عمارة الأسرة مرة واحدة .. ولكنى لم أنظـــر خلفى !! نعم لم أنظر .. وحتى الآن لا أعرف لماذا لم أنظر!!

أقسم بالله .. أنني لوكنت قد نظرت خلفى لعـــدت لهـــم ثانية.. ولكن لماذا لم أنظر ؟!!!

هل أبدلني الله شخصًا آخر حتى أســـتطيع الرحيـــل ؟!!!! ربما.. كنت أشعر بأنى أدوس على قلوبهم بعربة حقائبى وأنـــا متجه لصالة المطار ..

فيا من تفكر فى الغربة .. حذار كل الحذر من أول لحظـــة فراق !!! فكر ألف مرة قبل أن تتخذ قرار الغربة !!!

إن مرارة تلك اللحظة لازالت عالقة فى فمى حـــتى الآن .. ولازلت أسأل نفسى .. هل كنت إنسانًا آخر ؟!!! و لم أشعر إلا بيد المضيفة وهى توقظنى من غفوتى ..

– الأسبرين يا فندم ... هو حضرتك نمت ولا إيه ؟!!!

- هه !!!! لا أبدًا ..هو فاضل قد إيه لسه على الرحلة؟!!

- رحلة إيه حضرتك !!!!! إحنا لسه في مطار اسكندرية الطيارة لسه ما تحركتش أصلا .. الرحلة لسه طويلة .. طويلة جدًا !!!!!!!!!!

وأدركت فى تلك اللحظة أن الساعات التى هرولت بسرعة البرق قبل السفر قد تجمعت أحزانها معًا وذلك كى أتجرع مرارتها لحظة بلحظة .. وبمنتهى البطء ... فكنت أتذكر كل دقيقة منها .. وتمر على ذاكرتى وكأنها أيامًا طويلة .. وتيقنت وقتها من تلك الحقيقة ..

نعم .. لقد كنت إنسانا آخر !!!

٣. رأيت الله

(مقدمة)

الإسكندرية .. محطة الرمل .. شارع سعد زغلول ..

إن اجتماع تلك الكلمات الثلاثة مع بعضها البعض لا تعنى في قاموسي اللغوي إلا أننى فى طريقى للذهاب إلى وكر من الأوكار الثلاثة الآتية ..

منشأة المعارف .. دار المعارف .. المعرض الدائم للكتاب

فتلك الأوكار الثلاثة هى مصدر انتشار حمى الثقافة فى الإسكندرية !!

تلك المدينة العريقة.. والتى كانت يومًا ما مصدرًا لانتشار حمى الثقافة فى العالم كله

ـ رأيت الله !!!!!!

ما هذا ؟!!! آه .. الدكتور مصطفى محمود يعاود الكتابة من جديد .. ويجذبك كعادته .. ليس فقط بأسلوبه وأفكاره.. بل وبعنوان كتابه !!!!!

- الحساب كام حضرتك ؟!!

– ثلاث جنيهات فقط لا غير !!

هي ميزة كتب د. مصطفى محمود دائما .. ليس لها التأثير المفجع على الاقتصاد القومى لك عزيزى القارئ بل وتظن في كل مرة وأنت تدفع فيها هذا الثمن الزهيد أنك قد خدعت دار النشر .. واستطعت أن تقتنى فى عقلك خلاصة تجارب هـذا الرجل بثلاثة جنيهات زهيدة !!!

هكذا كنت أظن دائمًا .. ولكن المؤسف والمبكى فى نفس الوقت ..

أن المضحوك علية فى تلك القصة كلها هو أنت ..

قد تقرأ ما هو مكتوب .. وتظن أنك قد فهمت المـراد .. ولكن .. تطلّ عليك مقولة عجيبة، وفي نفس الموقـف الـذي يشرحه الكتاب، لتقول لك باسمة ..

(لا يزال المرء يتعلم ويتعلم ... فإن ظن أنه علم ... فقد بدأ يجهل)

رأيت الله ..

هكذا كتب د. مصطفى محمود فى عنوان كتابه

– يعني اللي عايز يقوله الراجل من الآخر.. أنك تستطيع أن ترى الله في كل شيء حولك ..

رزقك .. حياتك .. جسدك .. لان ربنا وحده هو وكيلك وبأيده أمرك ..

ربنا هو اللى بأيده رزقك وحياتك ومستقبلك .. وكل شئ أنت عايزه فى حياتك .. فيها حاجة دي !!!!!

ما أحنا بنفهم أهو يا عم !! يقولك بس كاتب ومفكر ..

ويقعدوا يضحكوا على الناس ويألفوا فى كتب عشان يشرحلك الكلام البسيط ده !!!!!!!

هو ده كلام محتاج يتشرح أصلا .. يعني الواحد لو ألف كتاب مش بردوا ممكن يقول الكلمتين دول .. ده شيء بديهي ومفهوم !!!!!!! يا خسارة ال٣ جنيه !!!!

****

كان كل ما يشغل تفكيرى وأنا فى رحلة الذهاب وبعد تناولى للأسبرين أربعة أشياء فقط لا غير ..

– أولها كيف سأصل المدينة بالقطار وكيف لى أن ألحق بالقطار ؟!!

- وثانيها أين سأبيت ليلتي في تلك المدينة ؟!!

- أما ثالث تلك المشكلات فكان الامتحان المصيرى والذي سأكتبه باللغة الألمانية وفور وصولى مباشرة و علـــى ضـــوء نتيجته سيتحدد ما إذا كنت سأقبل فى الجامعة أم لا !!!!!

- ويبقى آخر تلك المشكلات وهو ســـؤالٌ مفتـــوحٌ بـــلا جواب ماذا سأفعل في حالة رسوبي ؟وهو المتوقع غالبًا مع كل هذه الضغوط العصبية .. كل ما في حوزتى عن المدينة ورقتين حصلت عليهم من النت الأولى .. بهـــا عنـــاوين الفنـــادق .. والثانية .. بها مواعيد ذهاب القطارات من مدينة فرانكفورت إلى مدينتي والواقعة فى أقصى شمال شرق ألمانيا !!!

- يارب .. خليك معايا .. ماليش غيرك دلوقتِ .. مفـــيش حد في استقبالى .. ومش عارف النظام ولا حتى اللغة متقنـــها يارب .. خليك معايا .. ماليش غيرك .. أدركت أنه ينبغـــي عليّ البدء فى إيجاد إجابات محتملة لتلك الأسئلة ..

السؤال الأول وهو : كيف سأصل مدينتى ؟ !!

قطعا بالقطار .. ولكن الأهم .. أي قطار ؟!!

فورقتي البائسة تخبرني على استحياء أنه بإمكـــانى اللحـــاق بقطار وحيد مباشرة من مدينة فرانكفورت ذلك في تمام الثامنة صباحًا .. وحتى لا ألجأ إلى تبديل القطار في محطات أخرى .. وهو ما يعرضني للضياع التامّ في حالة فقدى لإحـــداها أثنـــاء

الرحلة .. والحل إذن هو القطار السريع المباشـــر .. إذن أيـــن المشكلة ؟!!!!

يتحرك القطار من محطة القطارات في مدينة فرانكفورت في تمام الثامنة صباحًا وطائرتى ستهبط إلى أرض المطـــار في تمـــام السابعة والربع صباحًا أي أنه لابد لى من استلام الحقائـــب ثم الجرى السريع كي أستقل مترو الإنفاق من المطار وحتى محطـــة قطارات فرانكفورت ثم أقوم بشراء التذكرة من محطة القطار ..

كل هذا في ٤٥ دقيقة فقط لا غير !!!!

كيف لى ذلك وأنا لا أتقن اللغة .. ولا أعرف المدينة !!!

وإذا ضاع القطار فإن الحل الآخر هو أن أعـــود إلى مـــصر على نفس الطائرة.. لأنه يعنى ببساطه ضـــياع الامتحـــان .. وضياع كل شئ !!!!

- يارب .. خليك معايا .. ماليش غيرك ..

أما السؤال الثانى وهو ما كان يؤرق أسرتى ويـــؤرقني أنـــا أيضًا أين سأبيت ليلتى ؟!! عناوين الفنادق معى.. ولكن هـــل سأستطيع تدبير ذلك عند وصولى المدينة في الثامنة مساءًا ..

ويبقى السؤال الثالث ..

وهو أساس تلك الرحلة كلها ..

ماذا سأفعل فى الامتحان ؟؟

إنه فى الثامنة من صباح وصولى لمدينتى مباشرة .. ويستعين عليّ النجاح لأحصل على المقعد بالجامعة !!!!

- يارب .. خليك معايا .. ماليش غيرك ..

مكثت ساعة كاملة وأنا أقلب تلك الأسئلة فى ذهنى ولا أجد إجابة لأيّ سؤال منهم ..

ماذا سأفعل ؟!!!

ألا توجد حلول لها ؟!!!

ألا توجد أسباب ؟!!

بلى ..

هناك حل واحد ووحيد .. لا حل غيره .. ولا تملك سواه

أن تسلم أمرك لله .. وتتوكل على الله ..

أو بمعنى أدق .. أن يعلمك الله أخيرًا كيف تسلم نفسك له وحده .. وكيف تتوكل عليه وحده ..

كيف تنسى الأسباب لانك فى كنف مسبب الأسباب ..

أن ترى أخيرًا ما يجب أن تراه .. وحرمك ماضيك وتربيتك ونشأتك وثقافتك

وعقيدتك المبتورة عن رؤيته .. أن تدرك وترى أخيرًا بـــأن الله وحده هو الرزاق ..

وهو وحده الوكيل .. وهو وحده الفاعل على الحقيقـــة فى كل شئ يحدث فى حياتك

وليست الأسباب والبشر .. أن تنسى عقيدتك الواهية والتى يقول معها لسانك فى كل يوم

لا اله الا الله ..

ولكنك تؤمن من داخلك أن رزقك بيد رئيسك ..

وأمنك وحمايتك من أبيك وعمك وخالك ومعارفك ..

يقول لسانك فى كل لحظة ..

الله أكبر ..

ولكن واقع أمرك يقول أن حب الدنيا أكبر ..

وشهواتك أكبر ..

وخوف الناس والمجتمع أكبر ..

أن تتعلم أخيرًا كيف تقول تلـــك الجملـــة بكـــل ذرة فى كيانك..

– يارب .. خليك معايا ... ماليش غيرك ..

هل تشعر بمعنى تلك الجملة ... ؟!!!

إننى أتحدى أن تشعر بمعناها إلا إذا اعتصرتك الحياة ...

وتفلتت منك الأسباب !!

هل تعرف لماذا ؟!!

كي تستطيع أن ترى الله ..

تراه بقلبك ..

تراه بكل كيانك ..

أن تسجد له كما لم تسجد من قبل !!!

هل تعلمون كيف رأيت الله ؟!!

عندما انفكت طلاسم هذا اللغز الحائر ..

وبعد ثلاثة أيام من نزولى لأرض الألمان !!!

فقط في تلك اللحظات ..

أدركت قيمة الجنيهات الثلاث ..

ولامس قلبي معانى الكتاب ..

وصدقت ما كتبه المفكر والأديب ..

أدركت أنه لن يمكننى كتابة حرف واحد مما قرأت فى هذا الكتاب .. إلا إذا تيقن قلبى من المعنى والحقيقة !!!

٤.. رأيت الله ٢

شهر رمضان ..

الفوانيس .. بائعي الكنافة وقد افترشوا الأرصفة ..

تسمع صوت عبد المطلب وهو يغنّي .. رمضان جانا وفرحنا به بعد غيابه أهلا رمضان ..

صيام وإفطار .. فوازير وبرامج .. وفيضان من المسلسلات يندفع فى اتجاهك كاندفاع الماء من شلالات نياجرا

رأفت الهجان .. الحلمية .. أرابيسك .. نصف ربيع الآخر.. ضمير أبلة حكمت.. من الذى لا يحب فاطمة.. لن أعيش في جلباب أبي .. هارون الرشيد.. أهالينا.. هوانم جاردن سيتي امرأة من زمن الحب.. الضوء الشارد ..

باااااااااااااه ...

سنوات تمر وتمضى .. شعرنا خلالها بروحانيات جميلة من الترابط الأسرى والتجمع العائلى .. ونفحات لا تجدها إلا فى رمضان .. ولكن يبقى المؤلم للنفس .. أن كل تلك النفحات الروحية كانت بعيدة كل البعد عن الغذاء الحقيقى والذي تشتاق إليه النفس !!!

كيف لى أن أرى الله كما كتب الدكتور مصطفى محمود

وسط كل هذا الضباب ؟!!!

قرأنا الكثير ..

نعم كنا قارئين بنهم ..

ولكن كما ذكرت سالفا .. أن تقرأ و تفهم شـــئ .. وأن تعيش ما قرأته وتعلمته واقعًا ملموسًا في حياتك شيئًا آخر

وينقضى رمضان العام .. ليأتي رمضان آخر ..

ولا تذكر من هذا الشهر الكريم إلا الكنافة والقطـــايف .. إعلام يقتحم حياتك كالمارد .. فلا تـــرى ســـوى الـــبرامج الترفيهية .. وسيل من المسلسلات.. والتي أجد فيها عملا فنيًا رفيع المستوى ..

يحوي في مضمونه فكر راق.. بل وأداء أرقى مـــن فريـــق العمل .. ولكن ..

لماذا ؟؟؟!!!!

لماذا في هذا الشهر الكريم على وجه الخصوص ؟ !!

فلو وزعت تلك الأعمال القيمة على مدار العام .. لتنـــاول المشاهد جرعات معتدلة .. تضمن له القدرة علـــى اســـتيعاب مضموها .. وإدراك الفكر الذي تحتويه !!!!

ولكي أكون منصفًا وعادلا في وصف تلك الفترة الزمنيـة الخطيرة من كل عام ..

فلابد أن أذكر انتظامي في الصلاة علـى وقتـها في هـذا الشهر.. فلا يصح الصيام بدون انتظام في الـصلاة .. وكأنهـا مفروضة فقط في رمضان ..

بل و كنت من أشد المحافظين على قراءة القرآن يوميًـا .. وذلك حسب علو أو دنو الهمـة .. صـفحتين .. ثـلاث صفحات ..

يعني..

بل ومن إنجازاتي الخطيرة مواظبتي اليوميـة علـى صـلاة الفجر.. هل أدركتم مدى التغير الجذري في العبادات خـلال هذا الشهر ؟!!!!

أو دعونا نقول ظاهر العبادات .. لأن العبادات لو استقامت على عقيدة سليمة ..

لتغير العالم بأيدينا .. إنجازات غير مسبوقة .. روحانيـات وعبادات وقرآن وتراويح ومسلسلات وبرامج وسـهرات .. كوكتيل عجيب ..

تخرج بعده النفوس للتطاحن وتغتاب وترتـــشى وتأكـــل الحرام.. إنها ذروة العبادة والقرب والاجتهاد في الطاعة

- هات القناة الأولى دلوقتى بدون كلام ..

- هات الثانية حوار صريح جدا ..

- يا جماعة هاتوا الأولى فيها الكاميرا الخفية ..

- هات الأولى ..

- هات التانية ..

الأولى .. التانية .. الأولى ..

- يا خبر أسود .. العشاء بتأذن فى القـــاهرة .. معانـــا ٤ دقائق نخطف صلاة المغرب .. قوموا بسرعة .. يالا ..

....

هبطت الطائرة في مطار فرانكفورت وذلك في تمام السابعة من صباح يوم الخميس لتخطو أقدامى أولى خطواتهـــا علـــى الأرض الجرمانية استعدادًا لمواجهة كمّ من التحديات المجهولـــة الأبعاد.

- يا عم إيه الكلام الكبير ده دلوقتى .. أنت حتخطب ؟!

هرولت مسرعا متتبعًا لوحة الإرشادات حـــتى أســـتطيع الوصول لمكان استلام الحقائب !!!

الوقت يمر كالبرق والساعة أصبحت السابعة والربـــع.. ولا أعرف لهذا المطار أولاً من آخر .. فالمطار ، وعلى الرغم مـــن روعة تنظيمه، إلا أنه مع ضخامته وسباقك أنت شخصيًا مـــع الزمن يجعلك تتوه في عقر دارك وليس داخل مطار فرانكفورت أحد أكبر مطارات العالم !!!

– لو سمحتِ .. ممكن تقوليلي اســتلام الــشنط لطيـــارة الإسكندرية منين ؟

– تعال معى .. لقد أتيت معك أيضا مـــن الإســـكندرية الاستلام من هنا ..

كانت سيدة تبدو على ملامحها أنها تخطت الخمسين بقليل.. و يبدو على هيئتها الترف والثقة في نفس الوقت .. مـــضيت معها وأنا أنظر في الساعة كل لحظة .. حيث بدأ مسلسل آخر من مسلسلات رمضان ، ولكن ليس من تأليف أســـامة أنـــور عكاشة وإخراج محمد فاضل .. إنه مسلسل أراد الله تعـــالى أن يعلمني به ألا أنسى العهد معه في تلك الغربة المجهولة .. ألـــيس أنا من قلت :

يارب ليس لي سواك .. أسلمتُ لك أمرى ..

إذن، لقد حان وقت التطبيق العملى ولا مجال للرجـــوع .. فإما الرجولة المطلقة مع الله تعالى .. وإما الضياع بلا عوده ..

بدأ الحوار مع تلك السيدة بعد أن أدركتْ إضطرابى الشديد فحدثتنى بالإنجليزية وذلك لعدم قدرتى على تجميع كلماتي بالألمانية في تلك اللحظات العصيبة ..

- أنت مالك قلقان كده ليه ؟!!

- أصلي لازم آخد الشنطة دلوقتي وأروح بأقصى سرعة على محطة القطر

- هو أنت مرتبط بقطار معين ؟!

- أيوه .. قطري الساعة ٨ من المحطة .. ولازم ألحقه عشان عندى امتحان بكرة الصبح ..

- هو أنت مسافر فين ؟!!

- جرايفزفالد

- بجد !!!! ده أنا كمان مسافرة بنفس القطر بس أنا حترل قبل منك في برلين

- الحمد لله ..

- أهي الست دي حتساعدني .. والواحد يقدر يعتمد عليها

حدثتني نفسي بتلك العباراة حيث وجدت في هذه السيدة العون المنتظر .. وبدأت أهدأ قليلا بعد أن ظهرت الحقائب قادمة على حزام الأمتعة ..

كانت معي عربة للحقائب ولكنى لاحظت أن السيدة تقف بلا عربة .. فسألتها ربما تحتاج لواحدة فأجابتني بالنفى ..

وما إن أتت الحقائب حتى وجدتها تضع حقيبتها مع حقيبتي على نفس العربة !!!

في البداية لم ألق للأمر بالاً .. ولكنى عندما دفعت العربة كي نذهب وجدتها تخبرنى بأنه علينا الانتظار حيث إن معها أصدقاؤها على نفس الطائرة من الإسكندرية وسوف يستقلون معنا نفس القطار !!!

أتى إليها أصدقاؤها وكان مظهرهم طبيعيًا .. ولكن شيئا ما بداخلى بدأ يقلق .. فقد بدأت ألاحظ قدوم ثلاثة من ضباط البوليس إلى أحدهم .. بل وإلى الآخر أيضا ...

- أنا لازم أمشي .. إتفضلي حضرتك شنطتك ..

- طب استنى .. خلاص أنا جاية معاك

وأدركت أن كل ما تريده هذه السيدة هو أن تضع حقيبتها معى على نفس العربة لأقودها أنا إلى الخارج ..

تأكدت من هذا الشئ عندما أصرت على مرافقتى وترك أصدقائها بعد التجمع البوليسى حول اثنين منهم وفي أقل من ١٠ ثوانى كنت قد تركت لها حقيبتها واندفعت بالعربة فى اتجاه ضابط الجوازات ..

والسيدة ترجونى الانتظار وتناديبى بكل أنواع التوسلات!!

يا الله .. ما هذه البداية المرعبة !!!

وما بداخل حقيبة السيدة علمه عند ربى ..

ولكنها الكلمات القديمة في ذلك الكتاب النحيف ذو الثلاثة جنيهات البائسة ..

لن يساعدك أحد سوى ربك .. حذار من الاعتماد علـــى البشر .. حذار من الركون إلى المخلوق ..

نعم ..

حذار كل الحذر ..

وكان الدرس الأول ..

ومن أول لحظة فى الغربة ..

و لم أعلم حتى الآن ماذا حدث لتلك السيدة .. وما الـــذي كانت تحتويه حقيبتها.. وتريدنى أن أخرج به من الجـــوازات.. ربما كميات كبيرة من الدخان أحضروها معهم مـــن مـــصر.. وحاولوا التهرب بها من الجمرك الألمانى والذي يحظر ذلـــك.. ولكن المهم .. أنني لم أرها ثانية في القطار.. نعم لم أرها ثانية..

و لم أرى غيرها أبدًا ..

لأنني بعدها لم أرَ إلا الله ..

أو بمعنى أدقّ ..

تعلمت ألا أرى غير الله .. وياليتني تعلمته منذ صغرى ..

هنا .. أجد الحكمة الإلهية تنظر إليّ لتعلمني .. وتربتُ على كتفي في حنان .. وتهمس في خاطرى ..

لن يستطيع الإنسان أن يرى الله إلا إذا أراده الله أن يراه ..

في المكان الذي يقدره الله .. وفي الزمان الذى يشاؤه الله ..

٥. رأيت الله ٣

وماشي مختار مختار بالكورة .. يلعبها عرضية .. يـــستلمها الخطيب .. وبيبـــو .. وبيبـــو .. وبيبـــوووووووووووو ... جووووووون ...

ديسمبر ١٩٨٢

مدينة أشانتي كوتوكو الغانية ..

ونهائي كأس الأندية الأفريقية لأبطال الدورى ..

حيث تُوج النادي الأهلى لأول مرة في تاريخه بطلا لأفريقيا وهو الحدث التاريخي للنادى الأهلى .. والحدث التاريخى لى أنا شخصيًا !!!

كان عمرى في ذلك الوقت قد تجاوز الست السنوات بقليل

وبدأت حمى كرة القدم تجتاح عقلى الصغير ..

الدوري العام ..

كأس مصر ..

كأس أفريقيا للأندية ..

كأس الأمم الأفريقية ..

وتصفيات كأس العالم !!!

ماتلبث أن تنتهي مباراة حتى يبـــدأ الإعـــداد لأخـــرى .. والبطولة تعطي إشارة البدء لبطولة أخرى ...

العالم كله يشاهد كرة القدم.. ويستمتع بالرياضة .. بـــل ويسافرون لها آلاف الأميال ..

ولكن أن تصبح كرة القدم أحد المحاور الأساسية في حياتك فهذا ما لا يقبله عقل إطلاقًا !!!

– ومجدي عبد الغني .. وشـــاط .. وجـــوووووووووون هدف التعادل للمصريين.. هدف التعادل للمـــصريين .. الله أكبر .. ونزلت عدالة السماء على إستاد بـــاليرمو .. مـــصر بتتعادل مع هولندا بطلة أوروبا.. مش ممكن يا جماعـــة إنجـــاز تاريخي !!!!!!!

كانت بطولة كأس العالم في ايطاليا عام ١٩٩٠ هـــي ذروة الإثارة والتشويق ..

وأذكر أننا كنا نجلس بالساعات فى نقاشـــات متـــصلة .. حيث تحول الشعب المصري بأكملـــه إلى ٦٠ مليـــون خـــبير كروي يفكر ويفكر.. ولا أظن أن أيّ إنسان قد جلس يفكـــر في المذابح التي ارتكبـــت أثنـــاء الانتفاضـــة الأولى للأقـــصى

١٩٨٧، مثلما جلس يفكر في وضع التشكيلة المثلى والتي يجب أن يخوض بها منتخب مصر الموقعة الفاصلة والتاريخية والحاسمة أمام منتخب إنجلترا، والتي سيتحدد على أساسها تاريخ مصر الحديث بأكمله وما إذا كان جنود الوطن سيحققون النصر.. ويكافحون بقيمة ما صرف عليهم من ملايين.. أم سيودعون البطولة غير مأسوفًا عليهم .. تاركين ورائهم دموع المصريين الحزينة على الخروج من بطولة كأس العالم لكرة القدم!!

– محمود ... تعالى ... مين اللاعب بتاع هولندا ده ؟

– ده إيفان ريكارد .. بيلعب في نادى انتر ميلان الإيطالى وهو من أصل سنغالي .

وأذكر أنني كنت أحفظ التشكيلة الأساسية لأغلب منتخبات العالم ومراكز لاعبيهم بل والأندية التي يلعبون لها كمحترفين !!!!!!!!!! ولا تتعجب عزيزي القارئ إذا أخبرتك أنني كنت أعرف اسم حارس مرمى منتخب كولومبيا (هيجيتا) ولا أعرف من هو عبد الله بن مسعود !!! وتمر السنوات .. والبطولات والدورات لا تتوقف ...

ويظهر المارد الجديد فى دنيا الرياضة المصرية .. كرة اليد ...

فتضاف بطولاتها للسجل السنوى المتخم بالبطولات والمسابقات .. فقد كان لنا حدثًا جديدًا أن تجد منتخب بلادك

فقط سؤال ينتظر الإجابة المعروفة مقدمًا ..

- محمود ... تعالى هنا عايزاك

إنه صوت أختى يصدح من حجرتى .. بالتأكيد تريد أحــد الكتب من عندى..

- فيه إيه ؟؟ بتعملى إيه هنا ؟!!

- إيه الكتاب الغريب ده ؟ رأيت الله ؟!!!

- أيوه .. ده كتاب لمصطفى محمود بيشرح فيه معنى بسيط

- بسيط !!!!!!!!!! ؟؟؟

- آه .. عايز يقولك أنك المفروض تشوف الله تعالى فى كل حاجة في حياتك .. وأنك تعرف أن الحياة دى ملك لله.. وأن ربنا وحده هو وكيل الإنــسان وأن .... وأن ... وأن ...

****

كان عليّ أن أبلغ محطة قطارات فرانكفورت بالمترو وأقــوم بشراء التذكرة وألحق بقطارى كل هذا فى حوالى ٢٠ دقيقــة هى عمر ما تبقى معى من وقت بعد انتــهاء هــذا المسلــسل البوليسى فى المطار .. ولا أعرف حتى الآن كيف أنجزت تلك المهمة في ٢٠ دقيقة فقط !!!!

بل ومن أكثر الأمور المضحكة خلال رحلة القطار

الآن فقط .. نعم .. الآن فقط أشعر بمعناها ..

" أشعر بالندم ياإلهي حتى نخاع العظم من أني ذكرت سواك بالأمس وهتفت بغير اسمك وطافت بخاطري كلمــات غــير كلماتك ..

سمحت لنفسي أن أكون مــرآةً للــسراب .. ومــستعمرة للأشباح .. جهلت مقامي .. ونزلت عن رتبتي .. وترجلــت عن فرسي الأصيلة .. لأركب توافه الأمور .. وأمــشي مــع السوقة .. وأزحف على بطني مع دود الأرض !!

خدعني شيطاني .. واستدرجني إلى مسرح العرائس الــذي يديره .. وإلى تماثيل الطــين والزجــاج والحلــي المزيفــة .. استدرجني إلى أناس يحبون للــشهوة .. ويقتلــون للطمــع .. ويتزاوجون للتآمر ..

رجال وجوههم ملساء .. ونظــراهم خائنــة .. ونــساء تغطيهن المساحيق.. فلا تبدو ألواهن الحقيقية ..

عالم جذاب كــذاب .. يــضوع بــالعطور .. ويــبرق بالكلمات!!

عالم لزج معسول .. تغوص فيه الأرجل كما يغوص النمل في العسل ..

حتى يموت بلزوجته !!

والأصوات يالهى في هذا العالم كلها هامسة مبللة بالشهوة.. تخترق الضمائر ..

وتأكل الإيمان من الجذور !!!!

وسمعت في قلبي صراخًا يناديك .. كانت كل خلية في بدني تتوب .. وتؤوب .. وترجع .. وسمعتك تقول فى حنان .. بيك عبدى .. وعاد اللا شيء إلى اللا شيء ..

وعدت أنا إليك ..

سبحانك ..

لا إله إلا أنت ..

القرب منك يضيف ..

والبعد عنك يسلب ..

لانك وحدك الايجاب المطلق

وكل ما سواك سلب مطلق

علمت ذلك بالمكابدة والمعاناة ..

وأدركته بمشوار الخطايا والذنوب ..

فمن خطيئاتى نبتت الحكمة ..

كما تنبت أزهار الياسمين من الأرض السبخة ..

ومن دموع ندمي حدثت الناس ..

فصدقوني ..

لأنهم رأوا كلماتي مغموسة بدمي ..

وكل من عبر طريقي قلت له كلمه صدق

ودللته على السلامة

ربي ما أتيت الذنوب جرأة منة عليك ..

ولا تطاولاً على أمرك ..

إنما أتيتها ضعفًا وقصورًا ..

حينما غلبتني طينتي ..

وغشيتني ظلمتي " **

تذكرت تلك الكلمات لأستاذى الحبيب .. ونظرت من النافذة ودموعى تتساقط .. توقفت كل حواسى الظاهرة والباطنة .. إلا حاسة واحدة .. حاسة البصر القلبى .. حيث بدأت لأول مرة في حياتي أرى .. نعم .. لأول مرة في حياتى أرى .. أرى الله .. ولا أرى سواه

** من مقال مسرح العرائس .. د.مصطفى محمود .. مجلة الشباب عام ١٩٩٥

٦. على اسم مصر (مقدمة)

تش .. تش .. تش .. تش .. تش

- صباح الخير يا عم " بيبس "

- صباح الفل يا محمود باشا .. أؤمرني

- الأمر لله يا راجل ..

بص .. جهز لي ب ٥٠ قرش فول وبجنيه فلافل فيهم إتنين محشيين .. حجيب العيش وأرجعلك .

من أجمل ما يميز حي محرم بك وهو أحد الأحياء العريقة في مدينة الإسكندرية هو ذلك المزيج العجيب بين أصالة الماضي وشعبية ساكنية .. فهو مكان شعبي بسيط يحمل عبق التاريخ وأصالته ..

إديني ١٠٠ ألف جنيه .. وفيلا في محرم بيه ..

هكذا كان يقول ساكنة الإسكندرية في الماضي .. حيث كان حي محرم بك هو مجموعة من الفيلات المتجاورة يسكنها الباشوات ، وأصحاب الأعيان، وكانت تمثل لأهل الإسكندرية القديمة في أحياء "بحري"، و" كوم الدكة" ، و"المنشية"، حلم صعب المنال .

وتحولت بقدرة قادر كل تلك الفيلات العريقة إما لمكان تتم فيه تحيه علم مصر مع صباح كل يوم جديد .. حيث أبلـه حكمت مديرة المدرسة .. وتلاميذ بؤساء .. وحوش في حجم العلبة ..

أو تحولت إلى مكان يتم فيه تعذيب المواطنين الأبرياء نظـرًا لأنه أصبح إحدى الهيئات الحكومية ..

ما علينا...

-جهزت الفول والفلافل يا عم " بيبس " ؟؟

-كله في التمام يا حودة باشا .. سلملي على جدتك ..

ظل ساكني حي "محرم بك" بالإسكندرية وهم من أبناء الطبقة المتوسطة أو فلنقل الكادحة، محافظين على تراث الحي العريق .

فما إن تطأ قدماك المكان إلا وتشعر وكأنك تعرف هـؤلاء الناس ..

"عم بيبس" بائع الفول والفلافـل .. "حمـدي" صـاحب كشك الصحف والمجلات .. الفرن البلدى وصاحبه "الحـاج سيد" .. كلهم أناس بسطاء .. ولكن يشغل كل شخص منهم مكانًة في قلبك قد تضاهى مكانة أقربائك ...

فقد كانت نشأتي الأولى في بيت جدتي بهذا الحى القديم ..

ورغم ابتعادى عنه نظرًا لأننا لسنا من ساكنيه .. إلا أنـــه حتى الآن لديّ شعور داخلى بأنى لازلت أعيش هناك وأنتمي لهذا الحى العريق ..

وما إن يسألنى أى إنسان ذلك السؤال التقليدى :

– أنت منين فى إسكندرية ؟؟

حتى تخرج الإجابة بعفوية .. وبدون أدنى تردد ..

– أنا من محرم بيه ..

وكنت ولازلت .. أبحث بكل اجتهاد عن هذا السر الخفيّ

في طبيعة تكوين هذا الشعب الكادح وشخصيته المترابطـــة رغم تعدد مصادرها وغرابة ثقافتها .. وهي التي هضمت آلاف الثقافات الأخرى ليخرج هذا المزيج العجيب متمثلاً في اللهجة المصرية المميزة ..

كتب جمال حمدان موسوعته الشهيرة (شخصية مصر) ولم أنل حظا من قراءة سوى تلخيص المختصر منها والذي نـــشر مسلسلاً في جريدة الأهرام منذ سنوات .. ولكن بقى الـــسؤال الحائر ..

ما هو السر ؟؟

أين السر الخفى في هذا الحب الجارف من قبـــل المـــصريين لوطنهم ؟؟

نعم ..

النفوس والسلوكيات تغيرت كثيرًا .. وها هى المادية قـــد طغت على كل مفردات الحياة .. وأصبحت الحياة في زحـــام القاهرة كصراع أسماك البحر الجائعة ولكن ..

رغم كل شيء وأي شيء ..

نحن عاشقون لمصر ..

ولتراب مصر ..

وسوف نظل نلعن فى هذا الذل وهذه البلد .. ولكننـــا لا نقبل المساس بها أو بكرامتها ..

إذن أين السر ؟؟؟!!!

من هم المصريين في الأساس ؟؟

فراعنة .. رومان .. عرب .. مماليك .. أتـــراك .. أهـــل النوبة ..

من هم المصريون فى هذا "الكوكتيل" العجيب ؟؟!!!

والإجابة تجدها بكل بساطة واضحة جلية عبر التاريخ ..

المصريون هم من عاشوا في مصر فارتبطوا بها ..

المصريون شعب بلا أصول .. ولكنهم شعب يهيم عشقا بوطنه .. لمجرد أنه عاش فيه لسنوات قليلة ..

والأسباب ؟؟؟

للأسف الأسباب مجهولة .. إنه سر مطلسم حتى الآن ..

مكان بتعيش فيه ولو حتى كام سنة .. فتحبه .. وماتقدرش تسيبه .. ومش بتعرف حقيقة مشاعرك تجاهه إلا لما تسافر ..

ويسألك الناس في الغربة ..

– أنت منين ؟؟

– أنا من مصر ..

– طيب ممكن تحكيلنا عن مصر ؟؟؟

هنا ينعقد لسانك .. وتهرب منك الكلمات .. تدمع عيناك.. وتجيب عليهم وكيانك يهتز من داخلك ..

– يااااااه .. مصر !!! عايزنى أحكيلكم عن مصر !!!!!

معرفش .. معرفش أعبر بالكلام .. مصر دي حاجة معرفش أحكى عنها .. مصر عبارة عن إحساس جوايا مقدرش أقوله ولا أكتبه .. بس ححاول النهاردة أكتب حاجة وأحكيها لكم المرة الجاية .

على اسم مصر

مصر النسيم في الليالى وبياعين الفل

ومراية بهتانة ع القهوة .. أزورها واطل

مصر السما الفزدقى وعصافير معدية

والقلة مملية ع الشباك مندية

والجد قاعد مربع يقرا في الجرنال

الكاتب المصرى ذاته مندمج في مقال

ومصر قدامه أكتر كلمة مقرية

قريتها من قبل ما اكتب اسمي بايديا

على اسم مصر **

وصل قطارى إلى مدينتى الجاثمة في شمال شرق ألمانيا في تمام الثامنة مساءًا ، وهو ما كان يعنى أنني بعد اثنتى عشرة ســاعة سوف أجلس داخل قاعة الامتحان ..

لم يكن أمامى سوى خيارين اثنين لا ثالث لهما فإمــا أن أكون من بين المقبولين بالجامعة هذا الفصل الدراسي ..

** من قصيدة " على اسم مصر " للشاعر " صلاح جاهين"

كان الامتحان مكون من خمسة أجزاء .. مدة كـــل جـــزء نصف الساعة تقريبًا .. يتخللهم فترة راحة مدتها خمس دقائق..

كل ما أذكره هو هذا الجزء الأخير من الامتحان.. كـــان سؤالاً مفتوحًا ..

اكتب موضوعًا من صفحتين على الأقل عن بلدك الأم ..

لم أفهم السؤال .. بلدي الأم !!!!!!

هل سأكتب عن مصر ؟؟؟

وان كان ذلك .. فماذا سأكتب عن مصر ؟؟؟؟؟!!!!!!!

ناديت المراقبة وهى التي أصبحت فيما بعد مدرســـة اللغـــة الألمانية خلال هذا العام الدراسى ..

- قصدكم إيه بالسؤال ده ؟؟؟

- اكتب عن بلدك الأم .. أنت منين ؟؟؟؟

- أنا مصري ..

- خلاص .. اكتب عن مصر ..

وابتسمت لي ابتسامة تشجيعية وذهبت ..

جلست أواجه ورقة الإجابة ..

إنها المرة الأولى فى حياتى والتي أواجه فيها سؤالاً كهـــذا .. وقررت أن أكتب من وحى ما أشعر به فى تلـــك اللحظـــة.. وليس كلاما مسرودًا من ذاكرة التاريخ ..

قررت أن أكتب عن مشاعري تجاه مصر .. ولا أذكر تحديدًا كم من الصفحات كتبت ..

أعتقد كانت صفحة ونصف الصفحة .. سلمت بعدها ورقة الإجابة بعد أن أيقنت أنني راسب لا محالة فلم يكن لديّ أدنى اقتناع بما أديته في الامتحان ..

ومكثت داخل غرفتي بالفندق أفكر في مستقبلي والذى أصبح في مهب الريح ..

وجاء يوم الأربعاء وهو يوم النتيجة .. فقررت عدم الذهاب للجامعة، وأن أتصل بهم تليفونيًا منعًا للإحراج ..

كانت معلمة اللغة الألمانية ، والتي راقبت عليّ في لجنة الامتحان، هي المسؤولة عن إبلاغ الطلبة بالنتائج حين الاتصال بها تليفونيًا ..

- صباح الخير يا أفندم .. أنا هير نجم وعارف إني أكيد راسب .. بس عايز أعرف رسبت بكام درجة..

- هير نجم ممكن تجيلي هنا الجامعة ..

- ليه حضرتك ؟؟

- حقولك لما تيجى .. أنا في انتظارك ..

وكانت أضخم مفاجأة حدثت لى في حياتى ..

حتى الآن لازلت أذكر أدق التفاصيل .. ولكن الأهم .. هو ما تعلمته من تلك التجربة .. وأكدته لى الشواهد والأحـــداث فيما بعد ..

ومع كل من رأيتهم فى تلك الغربة ..
فبدون إجابة واضحة لهذا السؤال البديهى ..
من هى مصر ؟؟؟
وماذا تعرف عن مصر ؟؟

سوف يكون الفشل حليفك فى الغربة لا محالة .. والرسوب فى الامتحان هو النتيجة الطبيعية ..

الغربة لها هدف ما .. من أجل رسالة ما.. وبدون إجابـــة هذا السؤال.. إعلم أنك غير مؤهل بعد لتلك الغربة .. ولهذا.. بدأت أولى كلماتى فى مذكراتى ..

على اسم مصر ..

٧. على اسم مصر

(الكنانة)

حي المنشية هو أحد أقدم الأحياء في مدينة الإسكندرية .. ولا تلبث وأنت فى طريقك على الكورنيش إلا أن تلاحظ معالم ذلك الحى الخالدة ..

قبر الجندى المجهول ..

ميدان النصر والذى ألقى فيه الرئيس جمال عبد الناصر خطاب التأميم المشهور ..

ميدان محمد على ..

غير أننى وأصدقائي كان لنا بحى المنشية مكان أكثر أهمية من تلك الأماكن التاريخية الشهيرة .. ذلك لأن مكاننا الحبيب كان هو مصدر التاريخ نفسه ..

ومجمع المستندات والمذكرات الخاصة .. بل وأحيانًا الوثائق السرية جدًا ..

- شيش جوهار

- شيش جوهار تانى ؟!! جرى إيه يا حاج لطفى !!!

- يا عم ما أنا برمى الزهر قدامك أهو ..

- لا .. أنت بتقرص ع الزهر

في حي المنشية وتحديدًا على الكورنيش تقبع قهوة تاريخية تسمى بالقهوة التجارية .. وهى فى ظاهر أمرها قهوة تقليدية كغيرها ..

إلا أننا اكتشفنا أنا وأصدقائى ونحن في رحلة بحثنا الثقافية أن القهوة التجارية هي المصدر الوحيد للوصول للحقيقة .. والإجابة الواقعية على تساؤلاتنا الحائرة ..

كنا أربعة أصدقاء .. ربطتنا الصداقة الحميمة منذ الصغر .. الهوايات المشتركة .. تقارب المستوى الاجتماعى لأسرنا وهو الذى شجع على تثبيت أواصر الصداقة بيننا وجعلها تمتد إلى حيز صداقة الأسر مع بعضها البعض ..

والأهم هو اعتدالنا في التفكير ومنهج الحياة .. فقد كنا ولازلنا نرفض الانتماء لأي تيار أو جماعة أو حزب سياسى..

تشكلت أفكارنا من خلاصة كتابات رجال الفكر المعتدل..

فأنا حتى الأن من المتخصصين في قراءة الأدب الإنسانى متمثلا في حبى لأستاذي ومعلمي عبد الوهاب مطاوع رحمه الله.. وآخر أهتم بالتاريخ على وجه الخصوص ..

والثالث كان يستهويه الأدب الروائي بكافة أنواعه .. تعلمنا منهم جميعًا أن الصواب هو الاستفادة من كل شئ .. وعـــدم التشدد لمنهج ما ..

أو لأفكار بعينها ..

وكان هذا أحد الأسباب الرئيسية فى احترامـــي الـــشديد للمجتمع الألماني وللشخصية الألمانية بوجه عام .. على الـــرغم من اختلاف العقيدة والثقافة ..

فوجدنا أنفسنا مثلا نعجب بالأستاذ حسن البنـــا مؤســـس جماعة الإخوان المسلمين ولكننا نختلف مع الجماعة فى الكثير مما يقدمونه الآن ..

وقفنا مبهورين أمام صفحات التاريخ المصرى منـــذ قيـــام الثورة وحتى عام ١٩٥٨ودمعت أعيننا على رحيل الرئيس عبد الناصر .. ولكننا انتقدناه بقدر كبير فى تعامله مـــع الإخـــوان المسلمين .. وهو الخطأ الذي أفرز التيارات الإسلامية المتشددة بعد خروجهم من المعتقلات ..

أما أكبر أخطائه فكانت مغامراته العسكرية الغير محسوبة .. وهي التي أدت لنكسة يونيو عام ١٩٦٧ وما تلاها من تبعات وشرذمة للعرب حتى الآن .. أحببنا الرئيس السادات فى كل ما صنعه .. ورفضنا كامب ديفيد ليس من حيث المبدأ ولكن من حيث طريقة التطبيق ..

تنفسنا مع الرئيس مبارك نسمات حرية التعبير .. تشهد بها الصحافة على نفسها الآن .. وها أنا أكتب وأقول رأيـــي دون خوف.. ولكننا بغضنا الفساد الإدارى .. وعدم السيطرة على الضمائر الخربة والمعجونة بحب " الشفط " والنهب .. والـــتى فقد معها الشباب الطموح ..

بل والأهم غياب الهدف القومى فى هذا الوطن والقادر على أن يلملم شتات المجتمع كما كان الحال فى فترة الحكـــم الأولى للرئيس عبد الناصر ..

وامتد هذا الاعتدال والتنـــوع حـــتى فى تـــذوقنا للفنـــون المختلفة.. فنحن الجيل الذى نشأ على دفء أصـــوات علـــى الحجار ومنير وإيمان البحر درويش .. وجرأة وواقعيـــة ســـيد حجاب ..

والمصرية الشديدة فى موسيقى عمار الشريعى وياسر عبـــد الرحمن .. ورقة وكلاسيكية الموسيقار المبدع عمر خيرت ..

حيث لازالت تشكل وجداننا وذكرياتنا وشخصياتنا أيضًا..

إلا أننا انجذبنا بشدة لفيروز وموسيقى الرحبانية .. واحتفظنا بذكريات أم كلثوم وعبد الحليم ونجاة ..

حتى الأدب القصصى ..

عشنا كغيرنا من أبناء جيلنا نسهر الليل مع روايات الدكتور نبيل فاروق .. والتي لازلت أستمتع بها حتى الآن ..

ومع ذلك وقفنا ننظر بانبهار لروعة أدب نجيب محفوظ وإحسان عبد القدوس ..

وقد ساعدنا هذا الأمر في تواصلنا حتى الآن مع أبناء الجيل الذى تلانا .. وعدم السخرية من أفكاره واحترام ذوقه ومشكلاته ..

المهم .. والشاهد من الأمر ..

أن معاول تاريخ وثقافة مصر قد نحتت جدران شخصياتنا جميعًا .. جعلتنا نتقبل الأخر ونحترمه .. ولا نرفضه بل نسعى كي نتعلم منه ..

غير أن هدفنا المشترك .. كان يتعلق بالبحث عن الحقيقة حول .. تاريخ مصر الحديث .. منذ قيام الثورة وحتى ظهور جيلنا نحن .. هذا الجيل الذي خرج من عباءة كامب ديفيد .. ليجد التناقض الفظيع .. بين ما هو مفترض أنه مسلمات راسخة منذ مئات السنين وبين ما يحدث فعليًا على أرض الواقع

كانت القهوة التجارية هي محطتنا الأخيرة دائمًا في فسحة الخميس .. حيث كنا نمضى بها فترة المساء نشارك المرتادين حواراتهم القيمة ..

وما لم أرصده لكم ..

هو أن القهوة التجارية هي مستقر كبار السن وأصحاب المعاشات ..

كان اهتمامنا بتاريخ تلك الفترة الزمنية في مصر لهدف وحيد في نفوسنا وهو أن نعرف .. إحنا مين .. ؟!! ويعني إيه أنا مصري ؟؟

البحث عن سر هذا النقد الفظيع الموجه إلينا من العرب وما هو سبب تحميلنا كمصريين مسؤولية كل ما حدث .. وما يحدث .. وما سوف يحدث ؟؟!!

فلنبحث إذن عن الحقيقة .. للأسف .. القضية ليست بتلك السهولة .. لأنك فى حقيقة الأمر تبحث عن أشياء لازالت وثائقها حبيسة الأدراج .. ومفاتيح تلك الأدراج مع ساسة هذا العصر ..

فهم يخرجون لك ما يريدون فقط .. بل لقد وصل الأمر إلى تغيير التاريخ ..

فالكل يقول ما يريد .. وما يريد منك تصديقه فقط ..

والفضائيات تمتلئ بالبرامج والآراء السياسية والتي تظهر التناقض الفظيع بين ما قاله هذا منذ سنوات وبين ما يقوله هو نفسه الآن ..

المهم ..

وجدنا فى حقيبتنا الدبلوماسية وثيقة وحيـــدة .. نـــستطيع بشيء من التحليل والربط بين الأحداث

أن نبدأ من بعدها في كتابة أول سطور الإجابة عن السؤال

الوثيقة هي حديث رسولنا الكريم عليـــه أفـــضل الـــصلاة وأزكى التسليم ..

(إذا منّ الله عليكم من بعدي بفتح مصر فاتخذوا منها جندا كثيفا فأجنادها هم خير أجناد الأرض وأهلها في رباط إلى يوم القيامة)

فمصر كنانة الله في أرضه ..

والتفسير اللغوى لكلمة الكنانة هي مكان حفظ السهام ..

وهى توضع على الظهر خلف رأس المحارب ..

والسهام هى السلاح الفتاك في اســـتراتيجيات الحـــروب القديمة لأنها ببساطة هى بارود حرب ما قبل البارود ..

بمعنى ..

أنك تستطيع إصابة العدو من مـــسافات بعيـــدة .. ودون الدخول فى أى مواجهة ..

وكان رماة السهام هم أهم عناصر المعركة ..

وهم من أناط إليهم رسولنا الكريم بمهمة حفظ ظهر المسلمين في غزوة أحد ..

وعندما ترك رماة السهام أماكنهم وقام خالد بن الوليد بحركة الالتفاف الشهيرة واحتل مكان رماة السهام ..

انقلبت المعركة ..

وأصيب المسلمون ما أصابهم من رماة سهام المشركين ..

إذن ..

فبدون السهام لا حرب ولا نصر .. وتلك السهام تحتاج لمكان يحفظها ويجمعها .. ومكان حفظ السهام يسمى الكنانة.. كان علينا أن نحلل تلك الكلمات .. ونربطها بالطبيعة الجغرافية للمكان ..

النيل يأتى من الجنوب بامتداد مصر كلها .. وكأن النيل هو العمود الفقرى الذى يربط أبناء ذلك الشعب جنوبًا وشمالاً ..

يزيل كل حواجز التقاليد والعادات .. ويجعل من الإنسان المصرى أيًا كانت نشأته وعاداته وتقاليده إنسانًا ذا هدف وحيد ..

يعيش من أجله ..

ويموت من أجله ..

وهو عدم ترك هذا المكان ..

فكأن النيل هو السبب الذى جعل الحياة تقوم في هذا المكان

ولكن الأهم .. هو أنه جعل للمصرى شخصية محـــددة .. وهدف محدد ..

وهو ..

الارتباط بالأرض والمكان ..

ولهذا ..

تجد المصرى عبر التاريخ والعصور لم يترك أبدًا مكانه .. لم يهاجر .. ولم يسافر إلا لغرض محدد .. ولفترة محددة ..

نعم أخيرًا شاع الترحال ..

ولكننا سنعرف لاحقًا لماذا شاع الترحال والسفر ..

الأهم هو أن الغالبية العظمى من المغتربين تعيش في حـــنين إلى الكنانة ..

ولكن ..

يعود السؤال ليطل علينا حائرًا وباحثًا عن إجابته ..

ما هو الشيء الذي يعيش في الكنانة؟

وما هى وظيفته التي خلقه الله من أجلها ؟!!!

إنه السهم ..

أى أن كل من يعيش في الكنانة هو سهم من سهام الله فى الأرض ..

خلق لهذا الغرض ..

وأنشأه الله في الكنانة كى يعيش من أجل هذا الهدف ..

إن المصريين على امتداد العصور والأحقاب لم تكـن لهـم أصول فهم الشعب الوحيد الذي يفتقد الأصول ..

إنه يكتسب صفة الأصل من معيشته في الكنانة ..

يكون تركى .. مغربى.. نوبى ..

يكون زى ما يكون ..

هنا في مصر لا وجـود للعنـصرية .. ولا أصـول .. ولا أنساب ..

إذا عشت فى مصر حتى ولو عام .. فسوف تصبح مصرى الانتماء .. حتى ولو لم تحصل على جنسيتها ..

سوف تحب المكان .. وسوف ترتبط بالناس ..

باختصار شديد ..

سوف تنتمى للكنانة ..

كان ذلك التحليل هو بداية الخيط الذي التقطناه لنبدأ رحلة البحث عن هويتنا ..

وهو ما يعنى أننى لمجرد إقامتى فى الكنانة .. فقد أصبحت رسالتى رغمًا عنى ..

أن أكون سهمًا من سهام الله في الأرض .. هذة الطبيعة يكتسبها المصرى بالفطرة ..

مجرد معيشته فى مصر تجعله حاملاً لهموم أمته كلها ..

وإذا انتفت عنه تلك الصفة .. أصبح لا يحق له الانتساب للكنانة ..

يفقد قيمته .. ويحقره الآخرون ..

من هنا نستطيع أن نفهم لماذا يحملنا العرب مسؤولية كل ما يحدث .. وما سيحدث .. لأنه بدون مصر لا توجد قضية ..

ولذلك .. استوعبنا معنى الفكرة الشهيرة والتي تقول .. " لا حرب نظامية شاملة في الشرق الأوسط بدون مصر " ..

جميع ساسة العالم يعرفون تمامًا تلك الحقيقة .. ولهذا كان الهدف الأسمى لهم بعد أكتوبر ٧٣ هو إخراج مصر من حلبة الصراع؛ ليصبح لهم الأمن والأمان في الانفراد بالفريسة .

من هنا استطعنا تحديد ملامح هويتنا .. وليس الهوية التى فرضها علينا مجتمع جديد نسي قضيته وهدفه الذى خلق من أجله ..

مجتمع كذب على نفسه وصدق كذبته .. مجتمع تنازل عن أهم معالم شخصيته ووجدانه وهو يوقع أسفل اتفاقيه كامب ديفيد دون حل للقضية كلها ..

أو بمعنى أدق للقضية الأساسية .. والتي طمست من بعدها شخصية الإنسان المصرى حيث تم سحب بطاقة هويته والتى يحصل عليها بالوراثة ومكتوب عليها ..

الاسم : مواطن مصرى

محل الميلاد : تراب مصر

المهنة : أحمل هموم أمة كاملة

بعض المصريين انتزعت منهم بطاقاتهم بالقوة ..

والبعض الآخر أراد تغيير جلده وبطاقته وفرح بالبطاقة الجديدة والهوية الجديدة .. ممنيًّا نفسه بالعيش فى سلام واستقرار ومشاهدة فوازير شيريهان في شهر الصيام، وإخوانه فى فلسطين يذبحون فى الانتفاضة الأولى في منتصف الثمانينيات انشغل بالسفر كى يعود بالشقة والسيارة وشاليه فى الساحل الشمالى .. وأصبح يحمل بطاقة جديدة بياناتها ..

الاسم : مواطن من أصل مصرى .

بس ماعنديش مانع أخد الباسبور الأحمر من بكره .

ومش عايز أبقى مصرى .

مصرى إيه يا عم .. فُكك !!

مكان الميلاد : يا أخى .. بلدك اللى فيها مراتك

المهنة .. جامع دولارات وريالات ودينارات ويورو ..

خرج جيلنا المظلوم من عباءة كامب ديفيد ليعطونا تلك الهوية الجديدة ..

بل لقد كنا أكثر حظًا من الأجيال التالية .. حيث ظل آباؤنا محتفظين بصورة من البطاقات القديمة قبل أن تسلب منهم..

فمكثنا نقلب فى الأوراق لنجدها ونسأل ونبحث .. بينما لا يجد الآن الفتى الصغير فى عمر العاشرة أى بقايا فى أدراج والده .. لأن والده مزق الصورة القديمة ولعن أيامها.. بل أغلبهم لم يكلف نفسه حتى بالاحتفاظ بالصورة لكي يحكى لأولاده أنه يومًا ما ..

بل وفى الخمسينيات والسبعينيات من هذا القرن .. قد كنا شيئًا آخر ..

وبدأنا نعرف ..

بدأنا نعرف بداية الإجابة ..

هل تذكرون الإجابة عن أى سؤال ؟؟

من نحن.. ؟ !!

ويعنى إيه أنا مصري ..؟ !!!

وإنه لمجرد كونى مصري .. فهذا شرف لى ولأولادى من بعدى ..

عرفنا أن الكنانة فقدت قيمتها وقت أن تركت وظيفتها .. ولفظت سهامها .. ووقعت وحدها دون شركائها أسفل كامب ديفيد .. فهاجرت السهام وسافرت بعد انتفاء صفة الكنانة عن المكان..

ولم يصبحوا سهامًا ..

بل أصبحوا أشياءً أخرى لا أجد صفات تنعتها.. أصبح لدينا جيل مشوه !!

لأنه لا يعرف من هو .. وما هي قيمة وطنه ..

هل أدركتم الآن صعوبة السؤال الذى واجهته في ورقة الامتحان .. وعندما يسألنى أى إنسان في الغرب ذلك السؤال التقليدى ..

- ممكن تحكيلنا عن مصر .. ؟؟!!

ينعقد لسانى .. وتدمع عيناى .. وتهرب منى الكلمات ..

- أحكيلهم إيه .. ؟!!

مصر اللى أنا أعرفها ؟!!

إذا كان حتى أبناءها من الجيل ده .. مش عارفين هى مين!!

ولكني أحاول هنا معكم .. علنا نتعرف على هويتنا ..

نبحث سويًا عن بطاقات أبائنا وجدودنا من أبناء الكنانة ..

ربما نعرف السبب فى سفر أبناء الكنانة وهاجرتهم عنها ؟؟

وما هي أسباب الغربة والسفر ؟؟

٨. على اسم مصر

(وردة)

يالا يا بت أنتِ وهيه .. يالا يا هباب البرك .. كل واحدة تتملى خط .. و مفيش حد يسيب سـجرة .. عـشان ورب الكعبة اللي حلاقي وراه فص قطن واحد على سجرة حكسر عضمه ..

يالا .. جالكوا الهم ع الصبح ...

مع قدوم شهر سبتمبر من كل عام يبدأ موسم جمع القطن في الريف والصعيد المصرى ويقف مقاول الأنفار "متولى السرساوى" حاملاً خرزانته التي لا ترحم قوى أو ضعيف من هؤلاء الأطفال البؤساء والذى لم تتجاوز أعمارهم جميعا الرابعة عشر ربيعًا ..

حرمهم آباؤهم من بداية العام الدراسى كغيرهم من الأطفال ومن فرحة الاستعداد للمدرسة بالمريلة الجديدة .. والشنطة .. والكراريس والأقلام .. وفى مصطلحات جمع القطن لابد لكل طفل أن (يتملى خط) حيث يتم زراعة القطن في خطوط ويناط لكل طفل منهم مهمة جمع القطن على أحد جوانب تلك الخطوط

- يا "سي متولي" .. عايزة (طاجية) عشان الشمس حامية

- بقولك إيه يا بت .. أنا مش عـــايز دلـــع ع الـــصبح غوري يا بت أملى خطك .

تمتد جذور عائلتى للريف المصرى في محافظة البحيرة حيـــث كانت نشأة والدى .. ورحلة كفاحـــه في استـــصلاح أرض جدى ..

واكتملت القصة بتخرجه من كلية الزراعة ..

فأصبحت تمثل الأرض له رمزًا في حياته وليس مجرد مصدرًا للرزق ..

فيها ذكرياته وكفاحه ..

ومع حلول شهر سبتمبر من كل عام يبدأ موسم الحصاد .. والذى ألازم فيه والدى حتى حلول شهر أكتوبر وبداية الدراسة كانت من الفرص النادرة للتأمل والحديث مع والدى في كـــثير من أمور الحياة والتى دائمًا ما كانت تمتد للحديث عن التاريخ والسياسة .. ومعها بعض التحابيش عن ذكريـــات صـــباه .. وقصص الشقاوة فى فترة الشباب .. ومع سطوع الشمس تأتى عربة متهالكة تحمل أكوامًا من الأطفال والمكلفون مـــن قبـــل "متولى السرساوى" بجمع القطن بناءًا على رغبـــة آبـــائهم في استغلال هؤلاء البؤساء كمصدر رزق إضافى للأسرة ..

كان منظر الأطفال يصيبنا بحالة من الاكتئـــاب الحـــاد .. فكنت أقرأ كلمة القهر في كل تصرف وسلوك أراه أمـــامى .. قهر الآباء لأطفالهم وإجبارهم على العمل تحت رحمـــة هـــذا " المتولى " والذى لا يعرف لكلمة الرحمة مدلولاً في قاموســـه السلوكى ..

كان يحمل خرزانته الطويلة .. ولا يتردد لحظة واحـــدة فى قهر أى طفل .. وضربه بأبشع الطرق .. عنـــدما يـــشعر أن الطفل قد يتطلع إلى طلب أى من الطلبات غـــير المقبولـــة في دستور العمل .. كالرغبة فى الاستراحة لخمس دقائق من أشعة الشمس الحارقة أو الرغبة في تناول لقيمات صغيرة من الطعام في غير مواعيد الراحة الرسمية والمحـــددة مـــن قبـــل "متـــولى السرساوى" مسبقًا ..

وهى فترة راحة وحيدة وطويييلة مدتها ساعة واحـــدة .. عند حلول الظهر من كل يوم ..

أما معى فقد كان هذا " المتولى " لا يجرؤ على الحـــديث أو حتى الاقتراب منى لعلمه التام بأننى ربما أنهال عليه بخرزانته أمام الأطفال إذا أقترب منى ..

فلا يثيرنى في حياتى ويخرجنى عن شعورى سوى معايـــشة قهر إنسان لإنسان .. ربما لأننى عايشت ذلك القهر في عمـــر الخامسة ..

مع اغترابي مع أسرتي في الخليج .. الثابت من الأمر أن مشاهدتي للقهر قد تدفعني لأي تصرف قد يصل لحد الهمجية مع الشخص الظالم .. خاصة وإذا كان الشخص المقهور ضعيف .. ذليل .. لا حول له ولا قوة ..

ولذا فقد كانت أتعس أيام " متولى السرساوى " هي أيامه التي يقضيها في أرض والدي لتخوفه من بلوغي لحظة الانفجار.

ومع أن عمري في ذلك الوقت لم يتجاوز الرابعة عشر إلا أنه ـ ومع قهره وجبروته وسطوته على هؤلاء البؤساء ـ لا يملك حتى مجرد التذمر إذا قهرته أنا أمام الجميع وبعثرت كرامته .

إنسان واطي .. في واقع مختل عقليًا ..

هكذا كان وصفي البسيط لتلك المسرحية الهزلية التي كنت أشاهدها كل عام ..

وذات مرة لمحت فتاة صغيرة كان يناديها أقرانها (وردة) فتاة لا تتعدى السادسة من العمر ..

تعمل في صمت .. ولا تتحدث مع أحد .. تعلو وجهها ابتسامة خفية ..

اختبأت خلف أسوار القهر .. والعنف .. واللا إنسانية ..

- تعالي يا وردة .. سيبي خطك وتعالى عايزك .

- أنى خايفة "سى متولى" يضربنى .

- أستغفر الله العظيم .. يعنى أولعلكـــوا في متـــولى ده ع الصبح .. أنا بقولك تعالي .

وتأتى الفتاة على استحياء وعيناها مثبتتان على هذا "المتولى" والواقف كخيال المآتة على قمة الأرض ..

- أنتِ أبوكِ مين ؟؟

- "سعد العكازي"

- وبيشتغل إية يا وردة ؟؟

- أبويا مسافر العراق

- طب و مين اللي بيقولك تيجى تشتغلى ؟؟

- عمى

- وأنتِ ليه مش بتقوليله أنك صغيرة لسة على الشغل ؟؟

- يا لهوي يا بيه .. ده كان يقطعنى من الضرب هو وأمي

أستغفر الله العظيم ..

ضرب .. ضرب .. ضرب ..

متولي بيضربها ..

وعمها بيضربها ..

وأمها بتضربها ...

كان هذا الواقع المرير هو ما دفعني للـــتفكير في رد الفعـــل السلوكي عند المصريين والذي يقبل القهر دون أدنى تذمر ..

وكأن القهر قد أصبح أحد مفردات الحياة الطبيعية .. مثله مثل الماء .. والهواء .. والطعام ..

بل وربما قد اكتسب الجهاز الهضمي للمصريين مع التطـــور التاريخي لحياتهم خلايا جديدة في غشاء الأمعاء تستطيع إفـــراز الأنزيمات الهاضمة للقهر ..

فلا يشعر الإنسان إلا بمرارة بسيطة عند تناوله من الفم .. ولكن لا يلبث بعد ابتلاعه أن يتم هضمه بسرعة البرق ويـــتم امتصاصه في الجسم وينقله الدم إلى كل خلايا الجسم .. فأعود للنقاش المستمر مع الوالد ..

- فى نقطة مش قادرة تدخل مخى يا والدى ..

- نقطة إيه ؟؟

- القهر اللي أنا شايفه ده ..

- هو أنت مش قريت تاريخ ..؟؟

- أيوه ..

– طب إيه الجديد ؟؟ وإيه اللى أنت مش فاهمة ؟؟

– لا .. فى فرق .. قهر التاريخ ولغاية سنة ١٩٥٢ كـــان قهر مستعمر ..أو قهر أسر حاكمة .. لكن القهر اللى بشوفه ده قهر جديد خالص ..قهر لم أقرأ عنه فى أىّ تاريخ .. ده قهر المصريين للمصريين..

كانت النقاشات الطويلة مع والدى هي أجمل ما يميز تلك الفترة من كل عام ..

فمصر وتاريخها الحديث .. وتحديدًا بعد قيام الثورة ..

قد تطور تطورًا لم يشهده التاريخ منذ بدء التاريخ .. القهر في التاريخ المصرى شيء بديهى تلاحظه مـــع أول صـــفحات تتناولها عيناك فى كتاب التاريخ ..

قهر ملوك الفراعنة للشعب منذ فجر التاريخ ..

قهر الرومان للشعب المصرى قبل قدوم الإسلام ..

قهر الدويلات المختلفة والتى حلت بعد دخـــول الإســـلام وصراعاتها المتتالية ..

قهر ملوك الأسرة العثمانية وخلفاء "محمد على" على امتداد التاريخ ..

قهر الاستعمار الفرنسي و الانجليزى ..

وكأن المفعول به الوحيد هو الشعب المصرى ..

فأنت لن تقرأ فى كتب التاريخ سوى القهر ..

ثم تأتى المحنة .. فيترابط أبناء الشعب لإنقـــاذ مـــصر .. ثم تزول الغمة .. ثم يعاود القهر سيطرته ..

وهكذا ..

أما القهر الذى كنت أشاهده ولازلنا جميعًا نشاهده .. فهو قهر جديد تمامًا ..

– أنا سؤالى محدد مين القيـــادات اللـــي ماســـكه البلـــد دلوقت؟؟.. مثلا .. مدير أمن محافظة المنوفية ؟؟

– اللواء عبدالرحيم فخرى

– منين الراجل ده ..؟؟

– معرفش .. روح أسأل

وأذهب للبحث فى سجلات الأنساب المتراكمة عند الأستاذ "مرسى" الموظف القديم قدم الأهرامات فى السجل المدنى ..

–ممكن يا أستاذ "مرسي" تشوف لى اللواء عبـــد الـــرحيم فخرى ده مين ..؟؟

– أيوه يا سيدي .. ثانية واحدة ..

عبد الرحيم درويش ..

عبد الرحيم طنطاوى ..

عبد الرحيم فخرى ..

أهو .. لقيته..

بص يا سيد .. عبد الرحيم فخرى .. أبوه الحاج سيد فخرى .. وده من مواليد محافظة المنوفية .. مركز تلا، ووالده كان فلاح بسيط .. وأخد فدانين أرض ملك من اللى وزعهم عبد الناصر فى فترة الإصلاح الزراعى ..

كانت إجابة الأستاذ "مرسى" موظف السجل مذهلة ..

فقد تصورت أن عبد الرحيم فخري ينحدر من سلالة أحد الإقطاعيين القدماء والوارثين صفة القهر من جينات آبائهم .. والتى تمتد للأصل التركى ، ولكنى فوجئت بأن "عبد الرحيم فخرى" هو المواطن المصرى الذى كان يروى القطن المصري مع والده .. بل ويجمع المحصول .. وربما كان من ضمن مجاميع "متولى السرساوى" المقهورة ..

مفاجأة مروعة ..

إحنا يا مصريين اللي ماسكين بلدنا دلوقت .. مفيش مستعمر ولا يحزنون .. إحنا اللي بنقهر نفسنا بنفسنا ..

هل أدركتم قصدى بأن القهر الذي يشهده الشعب المصرى

في الخمسين عامًا الأخيرة، هو نوع جديد تمامًا من القهر لم يشهده منذ فجر التاريخ ..

إنه قهر أبناء الشعب للشعب ..

قهر المصريين للمصريين ..

كان لى أحد الأصدقاء يقول دائمًا :

"إن المصريين في الخمسين عامًا الأخيرة .. هم عبيد يعيشون جميعًا بأفكار سادة .. ".. فما إن تشاهد أى مشاحنة في العمل أو في الشارع .. حتى تسمع تلك المقولة من طرفي النزاع ..

- أنت ما تعرفش أنا مين ؟؟

ودفعني الفضول ذات مرة للبحث في شجرة عائلتي الكريمة

علني أجد أحد الرموز .. وأستطيع أنا الآخر عندما أدخل في نزاع مع أحد هؤلاء المحسبين المنسبين والذين زاد عددهم عن السبعين مليون .. أن أقول أنا الآخر .. (أنت ماتعرفش أنا مين) ؟؟

وبحثت وبحثت .. فلم أجد في عائلتي وزيرًا أو باشا أو ملكًا أو سلطانًا .. يا خسارة ..

جدى لوالدى كان تاجرا للأخشاب .. وجدى لأمى كان محاسبًا (يعنى موظف) أمال يا أخويا الناس اللي ليل نهار عمالين يقولوا.. (أنت ماتعرفش أنا مين) .. هما فعلا مين ؟؟؟

وأتذكر على الفور مقولة صديقى الساخرة .. عبيد يعيشون بأفكار سادة .. وتشابكت الخيوط بشدة .. واختلط الحابل بالنابل .. وتعقدت الصورة ..

وأصبح المجتمع المصرى يعيش في حالة لم يعرفها تاريخه من قبل على الإطلاق ..

نعم .. إن المصريين اعتادوا القهر عبر التاريخ .. ولكنه قهر المستعمر ..

القهر الذي دفعهم للترابط والتماسك من أجل تحرير الأرض أو قهر ملوك الأسر الحاكمة ممن عاشوا في أبراجهم العاجية ..

فتعلم المصريون من هذا القهر كيف يصنعون سويًا بيوتهم من الطين والحطب ..

ويقف الأخ إلى جانب أخيه عندما يأتي فيضان النيل .. ليسند معه جدار بيته .. ويحميه من الفيضان الذي لا يرحم كان هذا القهر سواءً من الأسر الحاكمة أو من الاستعمار هو القهر الذى يربط أبناء الشعب مع بعضهم البعض بنسيج واحد..

كنا جميعا لا نلبس إلا بيجامات "الكستور" والتي كانت تحيكها لنا جدتي .. فأصبحنا الآن نلبس الترنج الأديداس .. والبانتاكور .. والشورت .. وآخرون عرايا تمامًا على شواطئ مارينا .. هل أدركتم ما أقصده بالقهر الجديد ؟!!!

أصبحت مقاليد حكم مصر بيد المصريين .. فتطلّع المصريون إلى العيش بأفكار سادهم ممن قرؤوا عنهم في تاريخهم.. وقهر المصريّون أنفسهم .. وظلم الشعب المصريّ نفسه بنفسه .. وتحلل نسيج المجتمع ..

المهم ..

أنني لم أرَ "وردة" ثانية ..

اختفت "وردة" وسط خضم القهر .. ولا أعرف أين ذهبت بها الحياة ؟!

فربما الآن عند أول خناقة مع جارتها بترقع بالصوت الحيانى وتقول لها :

- أنتِ ما تعرفيش أنا مين ؟؟

وربما تمسك "وردة" الآن الخرزانه لابنتها لتجبرها على جمع القطن مع "متولى السرساوى" والذي لازلت أذكر ابتسامته الصفراء عند رحيله في المغربية وسؤاله لى..

- تأمر بحاجة يا محمود بيه ؟؟

فلم أكنّ الشر لأحدٍ في حياتي سوى لتلك النوعية من البشر.

والتي تمنيت لو لم يقم عبد الناصر ببناء السد العالى .. حيث كان فيضان النيل يأتي كل عام .. ليزيل هؤلاء البشر من الوجود على أرض الكنانة ..

ويزيل معهم كل وساخات العام .. ليعود الماء صافيًا نقيًا..

يروى المصريين البسطاء .. وتعود الأرض خصبة مليئة بالخير.. وتبقى الكنانة شامخة.. ولكن يبقى الأهم من ذلك.. وهو أن القهر كان ولازال .. أحد الأسباب الرئيسية نحو الزحف .. الزحف نحو الغربة .. ليس فقط هروبًا من القهر الداخلى .. بل وللحصول على الأسلحة المناسبة لمواجهة هذا القهر .. فكان المال هو أحد أهم هذة الأسلحة .. بل ومظاهره المختلفة .. فكان الاستهلاك .. ولازال بحثى عن أسباب الغربة مستمرًا ..

ولكن يبقى لهذا حديث آخر ..

....

لأن بحثى عن نتيجة الإمتحان وسبب الاستدعاء السريع من قبل الجامعة كان هو الأهم بالنسبة لى .. فالبحث عن أسباب الغربة قد يطول .. ولكن الرسوب فى الإمتحان يعنى لى الرجوع إلى مصر محملاً بالإخفاق المروع ..

لذا .. فقد دقت نبضات قلبي بشدة، و لم تدقّ بتلك القوة فى حياتى مثلما كان إيقاعها وأنا في طريقى للجامعة ولا أعرف ما يحمله القدر من مفاجآت ..

دخلت إلى بهو الجامعة لأجد الطلبة والطالبات مجتمعين أمام نتيجة الامتحان .. وكانت بالكشوف أسماء الراسبين .. أو بمعنى أدق .. غير المقبولين ..

وذهبت لحجرة المدرسين .. وإذا بي أجد معلمة اللغة الألمانية .. كانت تدعى (Frau Dr.Gratz) وإذ بها تبتـــسم لى .. وتخبرني بأن ترتيبى هو الثالث على المقبولين بالجامعـــة كانـــت صدمة الفرحة التي لم أعايشها من قبل فى حياتى ..

والهمرت دموعى.. وتاهت كلماتى .. أحتضنتنى المعلمـــة .. وهدأت من روعى

وكان لابد من السؤال :

- ممكن أعرف أزاى فروا د. جراتز ؟؟

- إزاى إيه ؟؟

- إزاى أنا الثالث ؟؟

- لأنك أنت الثالث ..

- أيوه بس أنا لم أؤدّ على ما يرام فى الامتحان !!!

- على العكس تمامًا .. فالموضوع المفتوح كـــان كفـــيلاً لنجاحك ؟؟

وتذكرت الموضوع المفتوح .. اكتب عن مصر وما تعرفـــه عن مصر ..

فبدون الإجابة عزيزى القارئ عن هذا السؤال المفتوح لـــن يكون هناك نجاحًا في الغربة ..

لأن إجابة هذا السؤال هي مفتاح الهوية ، وبدون الهوية لا قيمة للإنسان .. ولا قيمة لمحتواه أو لمظهره .. وحتى الآن ..

وحتى كتابتي لهذه الكلمات .. وأنا لا أعرف كيف حدث ما حدث .. وكيف اجتزت الامتحان ..

وإن كان التفسير الوحيد هو أن الله تعالى قد قال للشيء كن .. فكان ..

٩. على اسم مصر
(محطة الرمل .. فيكتوريا) ١

تقبع مدينة الإسكندرية على الساحل الشمالى لمصر من خليج أبى قير شرقًا وحتى خليج المكس غربًا، محتضنة مياه البحر المتوسط بين ذراعيها في سلسلة من الخلجان المتوالية يعد أشهرها الخليج الممتد من القلعة وحتى السلسلة عند محطة الرمل حيث يبدأ هناك خط ترام الرمل ..

وما إن تطأ قدماى أنا ووالدي محطة الرمل، والتي تمثل المركز التجاري لمدينة الإسكندرية، حتى تأخذنا الخطوات متتالية إلى حى "المنشية"

إنه موطن ذكريات والدى ..

ففى حى "المنشية" وتحديدًا في شارع "العطارين" لازالت تقف ورشة جدى شامخة .. تحمل ذكريات الماضى الجميل ..

ورغم أن الورشة قد انتهى فعليًا العمل فيها منذ سنوات..

إلا أن والدى يشعر دائما وكأنها لازالت تعمل .. ولازال يسمع أصوات الماكينات القاطعة للأخشاب ..

بل ولازال يذكر أسماء العمال واحدًا واحدًا .. وما إن نصل محطة الرمل حتى يقول لى في كل مرة ..

– ما تيجى نروحوا ورشة جدك ..

ثم يبدأ الحديث عن الذكريات .. وارتباط تلك الـذكريات بالأحداث السياسية آنذاك ..

وما أصاب المجتمع المصرى من تحولات .. هـي في نظـر والدى دائمًا الخيارات وليست تحولات ..

المهم ..

تنتهي جولتنا المعتادة في كل مرة بالرجوع إلى محطة الرمل..

حيث ينتظرنا ترام الرمل أمام سينما "ستراند" ..

ليبدأ رحلته مخترقًا مدينة الإسكندرية بأحيائها المختلفـة في اتجاه محطة فيكتوريا حيث تنتهي هناك جميع خطوط الترام .

ولمن لم يزر مدينة الإسكندرية .. فإن ترام الرمل هو تـوأم المترو في القاهرة .. وليس المقصود طبعًا مترو الأنفاق .. بـل المترو الأزرق القديم ..

تلك الذكرى الوحيدة الباقيـة مـن مخلفـات الاحـتلال الإنجليزى لمصر .. والذى لايزال يعمل بكفاءة حـتى الآن .. ويمتاز ترام الرمل بأنه أحد وسائل المواصـلات الآمنـة نظـرًا لوجود عربة مخصصة للسيدات وعربتان للسيدات والرجال معا

ومن هنا يمكن للفتيات والسيدات ركوب الترام بعيدًا عـن المعاكسات والنظرات .. ولكن يبقى لترام الرمل أهمية خاصـة عندى .. وهو أنه يمثل المرآة الحقيقية للمجتمع المصرى ..

ففيه تشاهد تقريبًا جميع طبقات المجتمع بدءًا من الطبقة المعدومة .. وحتى الطبقة فوق المتوسطة .. شباب وبنات المدارس والجامعات .. الأمهات والآباء .. كبار السن ..

فيلم حي للمجتمع المصرى بكل فئاته تشاهده بخمسة وعشرين قرشًا هى قيمة تذكرة ترام الرمل ..

– ماشى يا أفندية .. ماشى ياحضرات اطلع يا بنى من ع الباب .. اطلع ياحبيبى .. مش ناقصين مصايب

ولن تملّ أبدًا من مشاهدة فيلم ترام الرمل؛ لأنه متجدد دائمًا أحداثًا وأبطالاً ولكن يبقى "الكُمسرى" قاسمًا مشتركًا فى أغلب الأحداث .. وذلك سواء مع الركاب المحترمين من كبار السن أو مع تلك النوعية الشنيعة من طلبة وطالبات المدارس الإعدادية والثانوية .

حيث لا تنقطع المعاكسات والمضايقات والشجار بالأيدى داخل عربة الترام ..

ولازالت تلك العادة الذميمة منتشرة بين فئات الشباب والمراهقين بكتابتهم لأسمائهم وتعليقاتهم على الحائط الداخلى لعربة الترام .. شلة الأشباح .. تامر البرنس .. أيمن أحداث .. خالد حمبولة .. سيد حنجرة ..الخ ..

من غريب الأسماء والألفاظ والتعليقات.. مشوهين معالم الترام من الداخل .

ولا تلبث شلل المراهقين من طلبة المدارس عند صــعودهم للترام إلا بالوقوف أمام الشباك المطل على عربة السيدات حيث يكون في انتظارهم أقرانهم من بنات المدارس .

يوزعون الابتسامات .. ويتبادلون التعليقات ..

والتي للأسف تصل أحيانا إلى حد الألفاظ النابية .. فتجرح حياء الراكبين ..

هذا بخلاف الفتيات اللاتى تعمّدن ركوب عربــة الرجــال حرصًا على تناول وجبة دسمة من المعاكسات عن قرب.. ودون اللجوء لنظرات اللاسلكي عبر النوافذ ..

وتجتاح العربة رغبة عارمة في إظهار (الروشنه) أمام الفتيات من قبل الأولاد .. والذين تسابقوا لإبراز مواهبهم الخاصــة .. ومظاهر رجولتهم .. معبرين عنها بأسوأ الألفاظ الموجــودة فى قاموس الشتائم ..

فيتطور الأمر .. وتتشابك الأيدى .. ويتدخل "الكُمسرى" لفض النزاع ..

- ما بس بقى يابنى أنت وهو .. ما تحترموا نفسكوا شوية وتحترموا الناس اللي راكبه ..

ويطفح الكيل .. حيث لم يتمالك أحد الركاب نفسه ..

بعد أن وصل حد الألفاظ وقلة الأدب درجة لم نشاهدها

أو حتى نسمع عنها فى سلوكيات تلاميذ المدارس .. جميعهم أعمارهم لم تتجاوز السادسة عشرة !!!!!

- فيه إيه يا عم !!!! إحنا جينا جنبك ؟؟!!

- يا بنى مش كده .. عيب .. في ستات ورجالـه كبـار واقفين .. وبعدين البنات اللي واقفة و سـامعينكوا .. مـش كده!

- ما هما اللى راكبين هنا عشان يتعاكسوا ..

- يا بني عيب احترم نفسك .. ترضى لأختك حد يعمـل معاها كده ؟؟

- أنا معنديش أخوات بنات .. ها ها ها ها

وأتأمل في ذهول هؤلاء التلاميذ وسلوكياهم الشاذة .. فلا أجد وقت للتأمل أو التفكير ..

مستوى الانحطاط السلوكى قد تعـدى مرحلـة التأمـل والتفكير .. كوميديا باكية ..

- هى العيال دى أهاليها فين ؟؟

- يعنى إيه !!!في البيوت طبعًا

- ما أقصدش .. أنا أقصد أهاليهم ربوهم ..؟؟

- ما أنت شايف أهو .. ونعم التربية !!!! بس ماتشغلش دماغك .. ده بقى العادى ..

وأعاود التفكير .. ويعود التساؤل .. أين الآباء والأمهات؟!

ألهذا الحد لم يفلح الآباء في تعليم هؤلاء الشباب معانى الأخلاق والمبادئ ..

ماذا يعرف هؤلاء التلاميذ عن مصر .. وعن قيمتها.. ورسالتهم هم تجاهها ؟ !!!!!

لقد أصبحت مفردات حياتهم تتلخص فى ألعاب الكمبيوتر (الكمبيوتر جيمز) .. الموبايلات .. معاكسات الفتيات .. وانحطاط أخلاقى وسلوكى غير مسبوق .

ثم يعود التساؤل يدق على رأسى بعنف .. كيف ربى الآباء والأمهات أبناءهم ليصلوا إلى تلك الدرجة من البذاءة ؟!!

والمشكلة الكبرى أن أعداد هؤلاء التلاميذ تفوق خيالك.. لدرجة تشعرك بأن المدرسة بالكامل على هذا المستوى ..

هل هذا هو الجيل الجديد ؟؟!ويصل الترام إلى المحطة التالية..

حيث كلية الطب والصيدلة وطب الأسنان.. ثم تليها محطة كليات المجتمع النظري الخمس (الآداب والحقوق والتجارة والتربية والسياحة والفنادق) فتجد بانتظارك جمهور غفير من طلبة الجامعة .. لتشاهد بنفسك ودون أى وسيط ما آل إليه حال شباب الجامعة ..

سجاير مارلبورو .. نظارات شمس ..

شعور معجونه بالجل .. موبايلات .. شلل ومجاميع من الشباب والفتيات ..

حوارات غريبة .. وتعبيرات أعجب ..

شباب تشعر بعد أن ترمقه بنظرة واحدة .. أنه يفتقد لأبسط مبادئ تحمل المسئولية والرجولة .. فأغلبهم من أبناء الطبقة المتوسطة الكادحة ..

إلا أن مظاهر الاستهلاك والمتمثلة في ماركات ملابسهم وأجهزة الموبايلات التي يحملها كل (شحط) منهم لا تنم إلا عن الاستهتار وانعدام المسؤولية ..

- هي العيال دي بتجيب الفلوس دي كلها منين ؟؟!!!

- من أهاليهم .. يعني حيكونوا بيجيبوها منين !!

- وهما أهاليهم معاهم لده كله ؟؟؟

- بيقطعوا من قوتهم ويدوهم ..

ويعاود التساؤل المحموم ليطرح نفسه بمنتهى القوة ولكن بصيغة أخرى ..

كيف ربى الآباء والأمهات أبناءهم على هذا الأسلوب الاستهلاكى الفظيع ؟!!

البلد تعيش الآن محنة اقتصادية طاحنة .. والشعب بالكاد يجد قوت يومه .. ولن يجد تكاليف علاجه في حاله المرض لا قدر الله ..

إذن ماذا يحدث ؟!!!! كان لابد من وقفة قبـــل أن يـــصل الترام إلى محطته القادمة ..

وتزداد الأعداد .. وتختنق الأنفـــاس .. وتبلـــغ القلـــوب الحناجر.. الطوفان قادم ..

وبرامج الإصلاح المفروضة علينا مـــن الخـــارج قادمـــة .. الأخلاقيات والسلوكيات تنهار بين أبناء الجيل القادم .. والناس غارقة فى الاستهلاك ..

أكيد في حاجة غلط ..

ولازم نعرفها ..

١٠. على اسم مصر
(محطة الرمل .. فيكتوريا) ٢

– أيوه يا أفندية.. أيوه هنا حضرتك اللى لسه ما قطعش ..

تتكدس الأعداد .. ويبلغ الزحام ذروته داخل عربات الترام عندما نصل إلى محطة "سان مارك" ..

حيث تنتظرنا البقية الباقية من طلبة كليات الزراعة والعلوم.. و مدارس الليسيه .. سان مارك .. سان جان أنتيد.. والمتجمعين هناك في منطقة "الشاطبى" ..

وطوال المحطات الخمس السابقة، من مكان بدء الرحلة وحتى بلوغ الترام لمحطة سان مارك، تتزايد الأعداد دون أى تناقص نظرًا لأن تلك المنطقة لا تحوى سوى المدارس والكليات المختلفة ..

فضلا عن بعض ذكريات الإسكندرية الخاصة جدًا كمدينة تاريخية .. فتجد فى تلك البقعة المدرسة اليونانية .. والملجأ اليونانى للبقية الباقية منهم .. والتى رفضت ترك المكان والرحيل إلى اليونان ..

حيث ارتبطوا بالإسكندرية وطنهم الأول .. لم يشعروا فيها بأى نوع من الغربة .

وهو ما يثبت بالدليل القاطع أن مصر هى البلد الوحيد الذى جمع ثقافات وديانات العالم دون أي تحيز أو عنصرية تفصل بين مواطنيها ..

وسوف نظل كمصريين أقباط ومسلمين عاشقين لهذا الوطن .. إنها حقيقة مؤكدة .. تعطى خيبة الأمل لكل من يحاول اللعب على ورقة الدين والأصول والأعراق ..

وكثيرًا ما أشعر بالدهشة عند تلك المنطقة بالذات .. حيث يبلغ التناقض ذروته ..

الأعداد متكدسة داخل الترام فى مشهد مؤثر .. لا ينم إلا عن الحاجة والضعف ..

ولكن مظهر الراكبين من الشباب لا ينم إلا عن الترف والغنى وكما ذكرت سالفًا ..

الطوفان قادم .. وبرامج الإصلاح المفروضة بالقوة من الخارج قادمة لا محالة ..

والشباب غارق فى الاستهلاك .. مع انحطاط غير مسبوق فى السلوك الشخصى ..

وضع منكوس ..

ينذر بكارثة محققة لو لم تستفيق تلك الجموع مما هى فيه ..

ويعاود السؤال والذى لم يتركنى لحظة واحدة منذ أن تحرك الترام من أمام سينما "ستراند" ..

كيف تعملق السلوك الاستهلاكي والانحطـــاط الـــسلوكي ليصل إلى هذا الحد ...؟؟

الناس لا تجد لقمة الخبز .. وتعطى أولادها من قوتها لشراء موبايلات .. وملابس .. ومظاهر استهلاكية ..

بمبالغ تفوق ميزانية الأسرة بأضعاف مضاعفة ..

لماذا ؟!!!

لماذا هذا التحول الفظيع ؟!!!

– يا بنى الناس مش عايشة غير للاستهلاك .. مفيش إنتاج

– ما أنا ملاحظ .. بس إيه السبب ؟؟إحنا مـــش لاقـــين ناكل .. إزاى الناس تبقى عايشة للاستهلاك بالشكل الفظيـــع ده؟؟

وألتفت إلى هذا الجوع الاستهلاكى والذى لا يشبع أبدًا إذا فتح الإنسان له الباب ..

إنه كباقى الشهوات والتى تحتاج أن تلجم وتقهر داخـــل النفس تمامًا كقهر الجوع والعطش وغضّ البصر وقت الصيام..

وقهر الشهوة بالعفة والطهارة .. وقهر الهوى باتباع أحكام الله تعالى وكما ورد فى الكتاب ..

هكذا استوعبت أن الاستهلاك مرض من أمراض النفس ..

والذي يتسلل به الشيطان إلى الإنسان قانعًا له بأنه . لا تنسَ نصيبك من الدنيا وبعدين يا أخى إنت بتعمل إيه حـــرام ..؟؟ إنت بتعيش أهو زى ما الناس عايشة !!

ولكننا لم نصل بعد لإجابة سؤالى المحدد .. من الـسبب فى زيادة مظاهر الاستهلاك .. ؟

لأن مظاهر الاستهلاك والتى تسللت إلى المجتمع كانت هى السبب وراء تحول الاستهلاك إلى سلوك طبيعى لا يلام عليـــه الإنسان من الآخرين ..

ورجعت بالذاكرة لبضع سنين.. منذ تزايد أعداد المسافرين إلى دول الخليج .. مع بداية الثمانينات ..

هوجة من السفر .. الكل يسافر .. فلـــوس .. والعـــاملون هناك يعيشون حياة كريمة ..

فلوس تهجم سنويًا على البلد مـــع قـــدومهم .. الـــسوق العقارى يتألق .. والعمارات ترتفع شاهقة ..

وتشهق معها الأنفاس عند سماع أسعارها .. فنصف مليون جنيه كقيمة للشقة أصبح شيئًا عاديًا ..

والناس بتدفع .. ويظهر الساحل الشمالى ..

محلات "الفاست فود" ..

المولات التجارية ..

الكل يريد أن يشعر أنه قد أصبح من (ولاد النـــاس) .. ولكى تصبح من (ولاد الناس) لابد لك أن تعيش بهذه الطريقة

والذين هم من أمثالى قد تم تصنيفنا بالمتخلفين عن ركـــب التقدم والرقيّ ..

فلوس داخلة البلد .. ولابد من ظهور حصالات كبيرة كي تجمع تلك الأموال ..

والمصريون فى الأساس عبيد عايشين بأفكار سادة .. فكـــل مصرى تتملكه الرغبة في أن يصبح فعليًا من السادة ..

الكل يريد أن يشعر بأنه أصبح ابن ناس .. ولا حــول ولا قوة إلا بالله

وتتحول القضية الأساسية في ذهن كل إنسان يعيش في هذا الفيلم الباكى إلى كيفية حصوله على أكبر قــدر مــن هــذا الاستهلاك ومظاهره

ليزداد ارتفاعًا بين طبقة أولاد الناس .. وتتحـــول المـــادة ومدلولاتها الاستهلاكية، إلى الشغل الشاغل فى عقول كل مـــن يعيش هذا الفيلم الممتد بطول عمر الإنسان ..

فترتفع متطلبات الزواج .. وتتضاعف الشروط .. ويلـــبس المجتمع المصرى ملابسه الجديدة والتي لم يتعلمها أمثـــالى مـــن المتخلفين والرعاع والسوقة والغوغاء ..

تتصاعد مظاهر البذخ الفارغ .. ويعود الشاب المكافح المتعلم المثقف إلى بيته بعد طول التفكير فى الترام .. فلا يجد إلا الحل الوحيد لمسايرة هذا السباق ..

وحتى يتسنى له الزواج والحياة وتكوين أسرة .. إنه السفر ولا حلّ غير السفر ..

إن تعملق مظاهر الاستهلاك بين أبناء الشعب جميعًا .. بل وبين جميع طبقاته المختلفة ..

كان السبب وراء الهجرة الأولى لكافة طبقات الشعب نحو الخليج ..

والدليل أن مظاهر الاستهلاك .. والتى أصبحت فيما بعد مبادئ وليست مظاهر ..

هى التى دفعت المجتمع المصرى إلى هذا التحول الفظيع .. بعد أن وجد الاستهلاك يقتحم حياته من جميع نوافذ المترل ..

قد تظهر عبارات اعتراضية تختلف معى .. وتعتبر ندرة فرص العمل بين الشباب داخل الوطن هى السبب فى تلك الهوجة ..

وأنا أتفق مع هذا الصوت المعارض لو أجابنى على سؤال وحيد لماذا يسافر الشباب من جميع طبقات المجتمع وليس أبناء الطبقة المعدومة فقط ؟

لأنه الصراع المحموم وراء الاستهلاك ..

ومن يتابع سلوك جميع المغتربين سوف يدرك تلك الحقيقة..

الفارق الوحيد هو أن المعدوم يستهلك بمفهومه .. وابن الطبقة المتوسطة وفوق المتوسطة يستهلك أيضًا بمفهومه ..

أما السؤال الآخر والحاسم لتلك القضية كلها والذى أنتظر أيضًا إجابته منكم .. لو كان السفر من أجل لقمة العيش ..

وقوت اليوم الذي لا يجده الإنسان فى مصر .. فلماذا يسافر الناس وتبقى غربتهم ممتدة عشرون عامًا وأكثر .. ؟؟؟

هل لا يزالون لا يملكون قوت يومهم فى مصر ؟؟؟؟

سؤال ينتظر الإجابة منكم جميعًا ..

من أجمل الطرائف التى تضحكنى وتبكينى مع كل أجازة لى فى مصر هو ذلك الحوار المعاد بينى وبين أحد أقربائى وهو من الشباب الواعد .. وخريج إحدى كليات القمة والمفترض أنه أحد العقول المفكرة لوطنه ..

- يا بنى أنت مش عايز تنضف بقى ؟؟؟

- أنضف إزاى يعني ؟؟ ما أنا باخد دُش كل يوم ..

- يا بني عيب عليك تبقى في ألمانيا بقالك سنين ولسه شايل جهاز موبايل زى ده !!!

- وماله بقى ؟؟؟ ما هو مقضيني ..

– يا بني انضف بقه .. الناس بتشيل دلوقت موبايل بكاميرا وأنت بتسافر وتيجى وعقليتك لسه متخلفة

وأضحك مع قريبى من القلب .. وأبكى من الداخل بحرقة على حال الشباب وتفكيره ..

لقد أصبح مقياس الحكم على تقدم تفكير الشخص عند سفره إلى بلاد الغرب هو نوع الموبايل الذى يحمله .

لم يسألني حتى الآن أى سؤال ـ وفى كل مرة أنزل فيها للأجازة ـ عن التطور الذى حدث فى تفكيرى وأسلوب حياتى

لا يحتاج ..

فهو يعرف فى كل مرة يرانى فيها أننى لم أتعلم شيئًا من بلاد الفرنجة .. لا يحتاج إلى السؤال ..

نظرة واحدة إلى نوع جهاز الموبايل الذي أحمله تكفي لمعرفه ما إذا كنت قد تعلمت شيئًا أم لا ..!!!

والسؤال الأخير الذي أنتظر أيضًا إجابته منكم .. هل هذا الجيل قادرٌ على بناء البلد ؟؟؟

هل يعرف هذا الجيل معنى التضحية ؟!!

إن التضحية نبات صغير يرويه الإنسان بالعطاء والبذل وقهر هوى النفس ..

يكبر النبات مع الأيام .. ويصبح شجرة .. ويبقى سوسها الوحيد ومصدر مرضها الوحيد ..

الاستهلاك ..

فهل هناك أمل بأن يفهم الآباء والأمهات معنى التـــضحية ليعلموها أولادهم ..؟؟ أن يقفوا في وجه هذا الزحف الجارف نحو الغربة والاستهلاك ؟!!

هل نرى يومًا ما شاب وفتاة يبدؤون حياتهم بشقة مساحتها ٥٠ مترًا مربعًا مثلما يفعل الشباب فى الغرب وبدون الـــصالون والأنتريه والسفرة والأثاث والتى هي جميعها من قوت أســـرة الفتاة .. ولا سبب لها إلا الفشخرة الكاذبة .. ؟؟؟

هل نرى يومًا ما فسحة الشباب تعود إلى البساطة والثقافة..

بعيدًا عن محـــلات ماكدونالـــدز .. والديـــسكوهات .. والمولات التجارية ؟؟

أسئلة لا أول لها ولا آخر ..

ولازالت رحلة ترام الرمل مستمرة .. فنحن لم نجتزْ ســـوى خمس محطات فقط ..

ورحلات الغربة لازالت مـــستمرة .. ولازال بحثنـــا عـــن أسبابها أيضًا مستمرًا ..

ولكن المضحك حقا .. هذا "الكُمسرى" البائس .. فهـــو لازال يحاول جاهدًا إقناع الركاب .. بأن العربية لسه فاضية ..

- ماشي يا حضرات .. العربية فاضية جوه يا حضرات ..

١١. على اسم مصر (ولازال الأمل قائمًا)

مقدمة

حتى كتابتي لتلك السطور، يزداد يقيني يومًا بعد يوم، بـأنّ ماحدث لم يكن إلا بتوفيق الله تبارك وتعالى ..

قد تصادف فى حياتك كثيرًا من يقول لك كلمة صدق من القلب ..

حقيقة مؤكدة وثابتة من ملفات و تاريخ كل إنسان .. إنه عطاء الله لكافة خلقه من البشر ..

ولكن أن يهديك الله تعالى كي تدرك و تفهم ما يقال لك فى وقته المناسب .. فهذا توفيق الله تعالى لمن أراد من البشر ..

لم تكن مصادفة أن أقابل في غربتى كل تلك النماذج ..

حيث توحدت فيهم جميعًا ـ وبكل وضوح ـ .. الإجابة على هذا السؤال الصعب ..

ما هو هدفى من الغربة ؟؟؟!!!

وما هى رسالتى فى الحياة ؟؟

و لم تكن مصادفة أبدًا أن تتوطد علاقتى بهم لتصل إلى حد الصداقة المتينة ..

بل لقد أصبحت واحدًا من أهم الأصدقاء لكل فرد منهم..

وإذا كان الواجب أن يشكر الإنسان الله تبارك وتعالى على نعمه ..

فلا أعلم كيف أشكر الله تعالى على نعمة مصادقة هؤلاء الناس وما يكتنف علاقتنا من حب ..

أسأل الله تعالى أن يكون خالصا لوجهه الكريم .. منزها عن أى غرض ..

ولا مجال إطلاقًا كى أرصد ما تعلمته من هؤلاء الأصدقاء لأن الأمر قد يحتاج لموضوعات مستقلة تطول فيها الأحاديث

ولكن يبقى أهم ما تعلمته منهم .. وما أريد رصده فى تلك الكتابات ..

ما هى رسالتى وهدفى من الغربة إذا قدر لى الاغتراب ؟؟

ولا أملك الآن سوى أن أكتب نبذة صغيرة مما تعلمته أنا منهم فهم جميعا كانوا أحد أهم الأسباب التى يسرها الله تعالى لى كي أتعلم من مشوارالغربة ما تعلمته حتى الآن ..

وهم من أجابوا لي على هذا السؤال العسير .. ما هو هدفى من الغربة ؟؟؟!!!

وما هى رسالتى فى الحياة ؟؟ إذا أردت بحق أن يكون لك هدف ورسالة ..

أجابوا عليه من واقع حياتهم .. وليس بعبارات جذابة يتشدق بها الكثيرون ..

فقد تركوا جميعًا حياة الغربة وسط إغراءات لا نهاية لها من المادة والعلم ..

ذلك لأنهم أدركوا أن لهم رسالة داخل أوطانهم .. فلهم أدين بالفضل ..

ولا أملك سوى أن أدعو الله تعالى أن يشاركوني ثواب كل حرف أكتبه هنا ..

فلا ينسَ الفضل إلا كل جاحد ..

١٢. على اسم مصر

(ولازال الأمل قائمًا) ٢

أمضيت عامى الأول فى جامعتى والواقعة في شمـــال شـــرق المانيا؛ وذلك لمعادلة شهادة الثانوية العامة وإتمام دراسة اللغــة الألمانية ولكي أتمكن من الحصول على مقعد لدراســة الطـــب كان يشترط حصولى على تقــدير كـــبير خــلال الفــصلين الدراسيين في ذاك العام ..

بعدها أقوم بمراسلة الجامعات للمنافسة على مقاعد الطـــب المحدودة مع آلاف جموع المتقدمين من جميع بلدان العالم ..

مضى الفصل الدراسى الأول صعبًا عسيرًا ..

الطقس شديد البرودة .. والهدف ليس بسهل على الإطلاق

ومع بداية الفصل الدراسى الثانى .. وقدوم شهر مـــايو .. ومع بداية ظهور أشعة الشمس ..

والتى حرمت منها خلال الفصل الدراسي الأول بأكمله ..

بدأ الدفء يتسلل إلى أركان حجرتى .. ولم أكن أعلم أن الله تعالى قد أعد لى ما هو أهم من دفء أشعة الشمس ..

إنه دفء الصديق والأخ في هذا الجو القاسي .. ذلك الشاب المصرى والذي أتى للحصول على الدكتوراه في جراحات المناظير في مجال المخ والاعصاب ..

بل زادت سعادتي عندما علمت منه أنه من جامعة الإسكندرية .

وكم كانت سعادته هو عندما علم مني أن خالي هو من درّسه في جامعة الاسكندرية وقت أن كان طالبًا في الكلية ..

ولم نحتجْ لذلك الوقت الطويل كي نقترب من بعضنا البعض

فلم يمض سوى الأسبوع الأول منذ قدومه إلا ووجدته يطلب مني أن أحضر كتبي لنذاكر سويًا ..

ونمضى فترات المذاكرة نشجع بعضنا البعض .. بل أصبحنا تقريبا نمضى وقتنا بالكامل سويًا ..

فلا نفترق إلا عندما يذهب كل منا إلى وجهته الدراسية ثم نعاود التجمع في البيت ثانية ..

كان شديد القرب من الله تبارك وتعالى .. فقد كان يحرص على الصيام رغم أن عدد ساعات الصيام في ذلك الوقت في ألمانيا تصل إلى ١٧ ساعة ..

فالنهار طويل .. والليل لا تتعدى ساعاته الخمس ساعات

ولا أستطيع أن أصف مدى احتياجي في ذلك الوقت لمثل تلك العلاقة ..

بل لقد وصلت علاقتنا لذروتها في أسابيع معدودة ..

كان هذا الشاب أمام أحد اختيارين .. فهو لازال في بداية رحلة حياته العلمية .. وفى منتصف الثلاثينات من العمر ..

لديه طفلان وزوجة وأم .. يتكفل هو بهم تمامًا ..

فإما أن يستمر فى الغربة بعض الأعوام أمام احتياجاته المادية أو أن يعود سريعًا إلى مصر ليواجه جبالاً من الالتزامات المادية

يعرض عليه أستاذه الاستمرار نظرًا لكفاءتـــه .. ولا مجـــال لمقارنة الدخل بين مصر وألمانيا ..

ولكنه أصبح على وشك الانتهاء من موضوع رسالته الـــتى أتى لغرضها ..

فهى جزء معـــين في جراحـــات المنـــاظير يخـــص المـــخ والأعصاب..

– ايه رأيك ؟؟ أنا عندي طفلين .. ومعنديش لا عيادة ولا شقة لأنى عايش مع والدتى .. وأكيد ححتاج عربية ..و مرتبى فى مصر زى ما أنت عارف ..

– طالما البروفيسور هنا مبسوط بيك خلاص خليك هنا كام سنة ..وأكيد حتتعلم كتير لسه .. وتوفر التزاماتك المادية ..

– أيوه .. بس أنا اتعلمت خلاص اللى جاى أتعلمه ..

– في ١١ شهر بس ؟؟ معقول !!!!

- أنا جيت عشان أتعلم شغل معين فى جراحات المنـــاظير وده موضوع رسالتى .. والعلم مش حيخلص .. ولو حقعـــد عشان العلم يبقى مش حرجع .. حقعد هنا عمرى كله ..

- طيب خلاص .. اقعدلك سنتين ولا تلاتة .. عشان توفى التزاماتك المادية .. وبعدها ارجع

- طيب حسألك سؤال .. ولو جاوبتنى عليه إجابة مقنعـــة حقعد .. إذا جه قضاء الله بعد شهر من دلوقتى وسألنى ربنا .. ليه مارجعتش مصر بعد ما علمتك العلم هناك ويسرته ليـــك حقوله إيه ؟!!!!

كانت المرة الأولى فى حياتى التى أسمع فيها هذا السؤال ..

وأصابنى الذهول .. ولازلت أذكر هذا المشهد وتلك الجلسة حتى الآن ..

ومكثت أفكر .. ليس في سؤاله .. بل في طريقة تفكيره ..

و إعماله لعقله .. لقد أدرك هذا الشاب أن الله تعالى هـــو الذى علمه العلم ..

وهذا ليس من أجل العلم .. بل من أجل الاخرين ..

وهو يؤمن أنه بمجرد حصوله على مقدار العلم الذى يؤهله بأن يكون نافعًا لغيره فعليه العودة ..

ذلك لأن العلم لن ينتهى .. وإن أطلق للطمـــوح العلمـــى العنان ..

فلن تكتب له عودة في حياته .. بل والأهم .. أنه سيصبح آثما أمام الله تبارك وتعالى ذلك لأنه لم ينفق مما رزقه الله من العلم ..

فالعلم وسيلة وليس غاية .. والغاية هى نقل العلم و ليس اكتنازه ..

وكونه طبيبًا فقد اصبح مطالبًا بالعودة من أجل الاخرين ..

وأدهشنى هذا التفكير .. ولكن ..

احتياجه المادى ..

إنه السؤال الذى يشغلنى أنا وأنتظر أنا منه الإجابة ..

– طيب .. ووضعك المادى .. التزاماتك ؟؟

– ده مش شغلى إنى أفكر فيه .. ربنا يسر لي إنى أتخرج من كلية الطب عشان أعالج الناس فقط لا غير ..

ربنا هو اللى من عليا بالفضل ده .. وهو اللى حيرزقنى بردوا بفضله عليا ..

دار هذا الحوار بيننا في حجرته .. ولازلت أذكر أدق تفاصيل الحوار ..

كان الكلام يبدو مثاليًا أكثر من اللازم .. وكنت أعتقد أن هذا الرجل لن يصمد أمام أعاصير الحياة ومتطلباتها المادية عندما يعود إلى مصر .. ولن تستمر به الحياة على هذا الهدوء الداخلى والخارجى ..

ولكنى أدركت بعد هذا .. أن هذا الشاب لديه مصدرا آخر للطاقة التي لا تنفد .. وهدفا آخر غير أهداف عامة البشر .. إنها ليست العيادة .. والسيارة .. والشقة .. وفيلا الساحل الشمالى ..

فقد كان هذا الشاب وعلى مدار سبع سنوات كاملة وقبل قدومه لألمانيا لا يقضى العشر الأواخر من كل رمضان إلا فى الحرم المكى كان هذا أحد أهم أهداف حياته ..

ولازال حتى تلك اللحظة .. ولازال الله تعالى يوفقه في تحقيقه ..

وكان الهدف الآخر من غربته هو أن يحج إلى بيت الله الحرام فرزقه الله من فضله فى الغربة .. وأبى أن يوجه ذلك الرزق للشقة التي يحتاجها .. أو للسيارة التي يتمناها الجميع .. أو للعيادة التي يحلم بها كل طبيب ..

فاستدعى زوجته ووالدته .. وأتم الله عليهم نعمته وأدوا مناسك الحج ..

وانتهى هذا الشاب من هدفه في الغربة بعد ١٣ شهرًا هي حصيلة ما قضاه فيها لطلب العلم ..

وعاد إلى أرض الكنانة ..

وهو يعمل حاليًا مدرسًا لجراحات المناظير بكلية الطب جامعة الإسكندرية ..

ورغم صعوبات الحياة ومشاكلها .. إلا أن الله تعالى قد رزقه في مصر العيادة والسيارة ..

ورزقني أنا معرفته ..

ليعلمني واحدًا من أهم وأعظم دروس الحياة .. فلا أملك إلا أن أكتب له هذه الكلمات البسيطة ..

أخي الحبيب ..

كنت ولازلت واحدًا من نعم الله تعالى عليّ في هذه الحياة..

فكان لي الشرف أن أصبحتُ أخاك الأصغر ..

وكان لي الشرف أن تعلمت منك ما لا يتعلمه الإنسان في أرقى جامعات العالم ..

١٣. على اسم مصر
(ولازال الأمل قائمًا) ٣

إنه توأم الروح والاسم والشخصية .. وأحد نعم الله تعـالى عليّ في حياتي ..

انتهيت من سنتي الأولى، والتي وفقني الله تعالى في نهايتـها بتقدير كبير، أظهرت المؤشرات الأولية لقواعد القبول المعتـادة بأنني سأحصل على مقعد لدراسه الطـب في أحـد أفـضل الجامعات بألمانيا ..

ولكنه الانتظار الصعب ..

فقد تسلمت شهادة معادلة الثانوية العامة الألمانية ، والـتي تعطيني الفرصة لدراسة الطب مثلى مثل أى طالب ألمانى، ولكن يبقى اسم الجامعة التي سوف تقبلني مجهولاً ..

ولمن لا يعرف كثيرًا عن الحياة فى الغرب .. فهنـاك عـدة عوامل يبحث عنها الطالب المغترب فى دراسته بالخارج ..

أولها : وقبل أى شيء اسم الجامعـة وشـهرتها أوروبيًـا وعالميًا..

وثانيها : مكان المدينة على الخريطة ..

فكلما كانت مدينة الدراسة قريبة من المـدن الكـبيرة .. والمليئة بفرص العمل .. كلما كان الاختيار أفضل ..

فلم أرَ طالبا أجنبيًا استمر أهله في الإنفاق عليه سوى تلـك النوعية المرفهة من طلبة دول الخليج .. وتلك النوعية لا يظهـر لها أثراً فى ألمانيا ..

فالدراسة تحتاج لإتقان اللغة الالمانية ثم معادلة شهادة الثانوية العامة ..

لذا فهم يتجهون دائما لبريطانيا أو الولايـات المتحـدة .. بينما ينتشر في ألمانيا من الطلبة العرب تلك الجنـسية البائـسة والمحكوم عليها بالشتات منذ نصف قرن (إخواننا الفلسطينيين)

إضافة لتلك الأعداد الكبيرة مـن دول المغـرب العـربى (المغرب .. الجزائر .. تـونس) وسـوريا ولبنـان والأردن والسودان واليمن ..

وتبقى مصر بعيدة تمامًا عن المنافسة .. فالمصريون هناك هم إحدى فئتين .. إما المبتعثين من قبل الدولة للحـصول علـى درجة الدكتوراه، ومنهم تكونت أغلب صداقاتى هناك ..

أو تلك الفئة التى حصلت على مكان للدراسة نظريـا، إلا أنها لا تدرس عمليًا؛ حيث يبحثون عن العمل لجمع المال ..

أو يبحثون عن الورق .. أقصد الجنسية .. وأغلبهم حاصلين على شهادات جامعية من مصر .. آداب .. تجارة .. خدمة اجتماعية .. حقوق .. إلخ

وقد صادفت كثيرًا منهم خلال السنة الأولى، وحاولت جاهدًا إقناعهم بالتركيزعلى الدراسة لتطوير أنفسهم، وأن هذا السبيل قد يؤدى فى النهاية إلى الدخل المادى الذي يحلمون به إذا ما حصلوا على الدبلوم من جامعاقم المسجلين بها ..

إلا أن آرائى كانت تقابل دائما بطوفان من عدم الصبر، وعدم الاكتراث، والبحث السريع عن المال والاستهلاك،

والذي يشكل أغلب تلك النماذج الموجودة هناك .. وللغرابة الشديدة .. فإن قرية صغيرة بمحافظة الدقهلية تسمى "ناوسا الغيط" وجد في العاصمة الألمانية برلين أكثر من ثلاثة آلاف شاب من أبنائها ..

لذا يندر تمامًا أن تجد في ألمانيا طالبًا مصريًا ينتظم مثلك في دراسته الجامعية .. ولكن ها هى نعم الله تعالى تنهال عليّ دون توقف .. فقد رزقنى الله مقعد الدراسة في أحد أفضل الجامعات وهي جامعة جوتنجن، والمشهورة بالأخص فى مجال الطب والفيزياء والكيمياء والرياضيات .. حيث حصل عدد غير قليل من أساتذها على جائزة نوبل ..

ولكن المفاجأة الكبرى كانت فى هذا الشاب .. إنه أحـــد المبتعثين المصريين والذي أتى للحصول على درجة الـــدكتوراه من كلية الزراعة ..

وكانت المفاجأة أنه أيضًا من الإسكندرية ..

ذهبت لمدينتي الجديدة بعد أن حصلت على مقعد الدراسة..

وأنا لا أعلم أين سأبيت ليلتي .. إنه واقع من أراد الكفـــاح في الغربة ..

تحمل حقيبتك على ظهرك ..تستقل القطار إلى مقصدك ..

وهناك تستوقف أى عربى فى الشارع .. لتسأله عن مكـــان المسجد ..

تقضي هناك يومين أو ثلاثة أيام حتى تجد العون والمساعدة..

إنه السيناريو الموحد لشباب الغربة ..

هذا الشاب هو أول من قابلتهم في المسجد ..

كان يقوم بتحضير الشاي لجموع الحاضرين حيث الجلـــسة الأسبوعية من يوم الجمعة ..

يجتمع الأصدقاء .. يقرأون القرآن .. ويطمئن الجميع علـــى بعضهم البعض .. ولم يمضِ على تعارفنا سوى دقائق معدودة،

حتى شعرنا نحن الاثنين وكأننا نعرف بعضنا البعض منذ زمن ربما الثقافة المشتركة وطبيعة الشخصية ..

إلا أنه لازال هناك سر في طبيعة علاقتنا حتى الآن .. فهو أحد الأشخاص الذين أكنّ لهم حبًا جارفًا أعجز حتى الآن عن وصفه ..

وهو يشاركنى الكثير من صفاتى الشخصية .. وكانت المفاجأة أيضا أنه يشاركنى الاسم .. ورفض بشده أن أبيت فى المسجد ..

واصطحبنى معه إلى غرفته .. أمضينا الليل سويًا ونحن نكتشف بعضنا البعض .. ويزداد تقاربنا بشكل لم تشهده أى من علاقات صداقاتى السابقة

ومن اليوم الأول .. لمست حجم وقيمة ما يقوم به هذا الشاب من أعمال الخير في مدينتى الجديدة ..

فهو المسؤول تطوعيًا عن إصلاح دراجات جميع الطلبة بالمدينة والحياة فى مدينتنا بدون الدراجة أمر محال ..

فهى وسيلة المواصلات الأساسية .. وبدونها يصاب الإنسان بالشلل التام في حركته .. وهو المسؤول تطوعيًا عن نظافة المسجد وشراء احتياجاته الغذائية وأدواته المختلفة ومتابعتها ..

وهو المسؤول تطوعيًا عن خزينة المسجد .. وهو المسؤول تطوعيًا عن أعمال صيانة المسجد المختلفة ..

وهو المسؤول تطوعيًا عن الإعداد لبرنامج رمضان والعيد وكافة المؤتمرات والندوات المختلفة داخل المدينة ..

وهو المسؤول تطوعيًا عن مساعدة أى إنسان قد يجده في طريقة ويحتاج للمساعدة !!!!!

كانت حجم المسؤوليات الملقاة فوق عاتقه تفوق الوصف..

هذا بجانب دراسته والتي تحتاج لقدر كبير من العمل المتواصل داخل المعمل ..

وقد تعجبت حقًا من قدرته على تنظيم وقته .. ولكن الأهم من هذا كله ..

هو مقدار حب الخير للآخرين والموجود داخل قلب هذا الشاب ..

ليس كلامًا بل أفعالاً .. لمسها كل عربي يسكن المدينة من واقع ما قدمه له هذا الشاب من مساعدات لا يقصد بها سوى وجه الله تعالى .. وتوطدت علاقتنا .. وفاقت كل تصور ..

وقد أنهى دراسته وحزنت المدينة كلها لرحيله .. ذلك لأنها فقدت مصدرًا حقيقيًا من مصادر الحب والخير

والذى ملأ به هذا الشاب حياة كل من عاش هناك .. وقد مكثنا سويا في الأسبوع الأخير له قبل رحيله في غرفتي نظـــرًا لأنه قام بتسليم غرفته قبل أسبوع من سفره ..

ولازلت أذكر تلك الكلمات وذاك الحوار ..

- شوفت ربنا جمعنا هنا إزاى !!! واحنا أصلا ما نعـــرفش بعض من اسكندرية !!!

- أيوه .. بس أكيد لو كنا اتقابلنا فى اسكندرية كنا بقينـــا صحاب

- أبدًا .. بالعكس !!!!

- ليه بقى ؟!!!!!!!

- لأن صداقة الغربة أقوى من أى صداقة تانية .. إحنـــا بقينا اخوات بجد .. وده اللى بيخلى صداقة الغربة أقوى مـــن أى شئ تانى ..

- طب بقولك بقى .. ما تخليك معانا .. وأكيد حتلاقـــى هنا فرصة ..

- وشغلى فى مصر ؟!!!

- شغل ايه ؟!!!!!

أنت عايز تقنعنى إن فى شغل بحث علمى فى مصر ؟!!!

- أيوه انا عارف إن مفيش شغل بحث علمى هناك .. بس فى هناك ناس أعتقد انهم محتاجنى .. الطلبة .. الطلبة محتاجة قدوة ..

انتهت كلماته معى إلى هذا الحد .. ورحل أخي عائدًا لأرض الكنانة .. ورزقه الله تعالى بعد عودته الإنسانة الصالحة التي تقف الآن بجانبه ..

فهو لا يملك سوى مرتبه كمدرس بكلية الزراعة جامعة الإسكندرية .. ولكنه ليس هذا الإنسان الباحث عن الاستهلاك.. فهي سعيدة معه بحق ..

من أجل ذلك الحب والخير الذي يمتلئ به قلبه للآخرين.. فقد أخبرني أحد زملائه بالكلية دون علمه .. أنه واحدًا ممن يعشقهم الطلبة .. ويكنون له كل الاحترام ..

عاد هذا الشاب؛ لأنه علم قبل غربته أن له رسالة .. علم أن هذا الجيل من الشباب يفتقد للقدوة .

وقد نجح بامتياز في غربته بأن يكون نموذجا للقدوة في أعمال الخير .. والتي يذكرها الجميع حتى تلك اللحظة في مدينته بعد رحيله

وها هو يعود من أجل رسالته .. فيكفي وجـــوده داخـــل أروقة الجامعة ليكون نموذجًا يقتدى به الشباب ..

وفى النهاية أكتب له كلمتى الأخيرة ..

أخى الحبيب ..

تعلمت منك كيف أحب ..

فقد امتلأت الكتابات منذ قدم التاريخ بعبارات الحب ..

ولكن لم أجد لتلك الكلمات مدلولاً في سلوكيات البشر مثلما شاهدت منك فى حياتك مع الآخرين ..

١٤. على اسم مصر
(ولازال الأمل قائمًا) ٤

الدراسة .. اليورو .. المجتمع .. الوحدة

أربع كلمات مختصرة هي ملخص صراع البقـاء وإثبـات الذات في رحلة المغترب طالب العلم والنجاح ..

لغة جديدة لا تعلم عنها شيئًا ..

وشتان بين أن تتعلم اللغة لتتعامل بهـا في المطعـم ومحطـة القطار وبين أن تتعلمها لتبدأ بها مشوار دراسـتك وحياتـك ومجتمعك داخل الجامعة وبين أقرانك من أصحاب البلد ..

البروفيسور يتحدث ويشرح الطلبة يكتبون ويقرؤون ..

يقرؤون في الصفحة رقم عشرين .. وأنت لازلت تحـاول جاهدًا فك طلاسم الكلمات باستخدام القـاموس محملقًـا في السطر الرابع من أول صفحة ..

كم هو إحساس مؤلم ..

كالعادة ..

قاموسك في جيبك لتتعلم لغة حياة هذا المجتمع ..

ولكن لا تنسَ وأنت تستخدم هـــذا القـــاموس الـــذى لا يفارقك ..

وتتعلم منه فن النجاح فى الحياة ..

أن تمسح منه أربع كلمات ..

الخوف .. الهزيمة .. اليأس .. العجلة

إن الخوف هو أحد أهم أعداء النجاح فى الغربة .. ولكـــى تنجح لابد لك ألا تعرف حياتك معنىً للخوف ..

انهض .. لا تكن خجولاً ..

اذهب لتندمج مع جموع المتعلمين .. وتبحث عن حقـــك وتطالب به ..

بالتأكيد سوف تتعثر .. سوف تسقط مرات ومرات ..

فإياك أن تعرف معنى كلمة هزيمة .. نعم قد تخسر معركة.. قد تعود جريحًا من إحدى الجولات ..

ولكن أن تستسلم وترفع الراية البيضاء لتعلن هزيمتك.. فهذا لا يدخل ضمن حسابات من يريد النجاح فى الخارج ..

- وماذا أفعل إذا استمر مسلسل الهزائم .. ؟؟؟!!

إذن اعلم أنه يتعين عليك تغيير إستراتيجية كفاحك ..

في حاجة غلط .. دور عليها .. صلحها .. وابدأ من جديد..

اليأس لا وجود له فى قاموس المكافحين ..

ثم يأتى أهم الأعداء .. ترى الأفلام المصرية وهى تصور حياة الناجحين والنهاية السعيدة لقصة الكفاح فى ساعتين من الإبداع الفنى ..

ولكن هل تعلم كم تستغرق دقيقة الفيلم فى رحلة الكفاح الحقيقية ؟؟

إنها سنوات طويلة ..

إيه ده ..

إحنا أنضحك علينا يا عم .. أنا مش لاعب ..

فتكون العجلة هى الضربة القاضية .. والتي تُلقى بالمنافس فى هذا الصراع خارج الحلبة محمولاً إلى مستشفى أمراض الرغبة في أحلام نجاح الأفلام العربية .. والنمر الأسود .. وهمام فى أمستردام ..

ثم يأتى اليورو كثانى العقبات فى الطريق ..

وتستمر جولات الصراع .. مواجهًا الأعداء الأربعة وأنت تبحث عن العمل وتحاول تخطى عقبة اليورو ..

الخوف .. الهزيمة .. اليأس .. العجلة

تنتهي الجولات بعد عام أو عامين بحصولك على العمل الثابت .. كى تستطيع إيجاد مصدر الرزق للدراسة ..

ثم تتكسر عظامك .. ويتحلل نخاع عظمك .. وأنت تحاول التوفيق بين الدراسة والعمل ..

ويتجمع حزب أعداء النجاح في الغربة مرة أخرى ..

الخوف .. الهزيمة .. اليأس .. العجلة

حتى تختفى عقبه اليورو من حياتك ولو بشكل نسبى مرضي .. وطالما لازلت تكتب تلك السطور . وأرى كلماتك عربية خالصة .. لم يصبها الاعوجاج أو الانحراف .. فهو يعنى أنك اجتزت الجولات .. وأدرك بالفطرة أنك قد اجتزت عقبة المجتمع ..

وتأتى الوحدة كرابع العقبات الاربع .. لتظل كشبح لا يفارق حياتك ..

مضت على دراستى ثلاثة أعوام كاملة .. وللأسف رحل أغلب الأحباب عن مدينتى عائدين إلى مصر بعد حصولهم على درجة الدكتوراه ..

ودار هذا الحديث مع نفسى المكتئبة ..

- طب ما ترتبط ..

- يا عم أنت عبيط ولا إيه ..؟؟ مين اللي ممكن تشاركنى تلك الحرب الضارية ؟؟ فى مصر حيقولولى بقى مهر كام ..

وشبكة كام .. وشقة فين .. ومحدش أصلاً هناك فاهم أنا بعمل ايه وعايش إزاى ..

- إذن فلتكن عربية مسلمة ممن يدرسون بالجامعة ..

وهنا تبكي جذورى من العطش إلى ماء النيل فى مصر ..

فأدرك أنه لا محالة من رجوعى إلى مصر .. وهو ما يعنى أنانية مطلقة .. لأنه يعنى حرمان تلك الإنسانة من الأهل والأحباب .. والسبب أننى مصرى ..

فهي آلام الغربة التى عانيت منها ولا أرضاها لغيرى .. أما الألمانية .. فهى فكرة رائعة .. لمن أراد أن يحمل لقب مطلق.. أو من أراد أطفالاً بلا هوية .. أو من أراد العيش سعيدًا ..

لأنه نسى هويته وجذوره وثقافته ..

مشروع الارتباط الآن مشروع فاشل ..

- إذن أين الحل .. ؟؟

- الحل فى صديق أمين ..

- ولكنهم للأسف رحلوا جميعًا ..

- لا .. بل بقي منهم واحدًا ..

كان هذا الشاب المصري والذى أتى لدراسة الدكتوراه فى الكيمياء وهو من أبناء جامعة حلوان ..

كان خطيب الجمعة فى مسجد مدينتنا .. وحافظا لعشرين جزءًا من القرآن .. وقد درس عامين في الأزهر أثناء فترة الماجستير وحصل على تقدير جيد جدًا .. ولم يمنعه من الاستمرار سوى تلك البعثة التي أتت به إلى مدينتى ..

كان مشغولاً دائمًا بسبب النتائج السيئة فى المعمل .. ولا أعلم لماذا لم تكن علاقتى به فى نفس قوة أصدقائى الثلاثة الآخرين .. والذين رحلوا عن المدينة تباعًا ..

ربما لانشغاله الشديد فى دراسته ومسؤولياته .. وربما لاكتفائى أنا بالأصدقاء الثلاثة فلم أسعَ للمزيد ..

لا أعلم ..

أتى شهر مايو وقد أصابتنى الوحدة بالاكتئاب وعدم القدرة على الاستمرار فى العمل والدراسة .. ولا أعرف ماذا أقول له.. نقيم سويًا مثلا ..

معقول !!!!!!!!!

وأتذكر حزب أعداء النجاح ..

الخوف .. الهزيمة .. اليأس .. العجلة

فقررت الذهاب إليه بعد صلاة العشاء فى المسجد والحديث معه عما يعتريني من وحدة واكتئاب ..

ذهبت إليه لأجده هناك كعادته فى صلاة العشاء ..

- إيه أخبارك ؟؟ أخبار الشغل إيه ..؟؟

- والله يا محمود الحمد لله خلصت الأسبوع ده الشغل العملى وحبدأ أكتب فى الرسالة إن شاء الله

- طب عظيم ..

- بقولك إيه .. أنا الفترة اللى جاية دى حبدأ أكتب الرسالة ومحتاج حد يشجعنى على القعدة والكتابة .. ماتيجى تقعد معايا وأهو نعين بعض ..

اعتقدت فى بادئ الأمر أننى حدثت أحدًا من الزملاء عن الأمر .. أو عن مشكلتي في الأساس .. ولكن بمراجعة نفسى تأكدت من أننى لم أحدث مخلوق عن أزمتى الطاحنة ..

ولكنه عطاء الله حين تدعوه وحده .. فيأتى اليك الرزق ويشعرك هو أنه منه وحده ..

بدأت رحلتنا سويًا .. ودخلت العالم السرى لهذا الصديق الحبيب .. كنت أول صديق له فى حياته ..

ولازلت ..

وتغيرت حياتى بعد أن أدركت كيف يعيش أخى الحبيب..

طاعات جديدة .. ونظام آخر ..

لابد من قيام الليل قبل الفجر .. وصلاة الفجر فى المسجد..

وبدأت أحفظ القرآن معه .. كان يراجع لى كل يوم نصف الصفحة .. ومضينا سويًا ونحن في قمة الاجتهاد فى العلم والدراسة ..

نذاكر ولا نعلم كم من الساعات ذاكرنا .. يجلس هو مع جهاز الكمبيوتر ليكتب رسالته ..

وأجلس أنا على المكتب المقابل .. حتى أصبحنا نبيت سويًا..

أمضيت رمضان معه .. فكان رمضان آخر .. غير ما مرّ معى من قبل ..

وانتظمت عباداتى وواجباتى ..

وتعلمت منه كيف أضبط حياتى على مواقيت الـــصلاة فى المسجد .

وأتى يوم ٢٠ من يناير لعام ٢٠٠٤ وهـــو يـــوم امتحـــان الدكتوراه لصديقى الحبيب ليحصل على أعلى تقدير حـــصل عليه طالب دكتوراه أجنبى

فى الجامعة فى تخصص الكيمياء ..

فلم تشهد جامعتى وهى الجامعة صاحبة الشهرة الواسعة فى الكيمياء والفيزياء والطب والمشهورة بوفرة الحاصلين منها على نوبل في تلك العلوم أن يحصل طالب أجنبى بها على هذا التقدير

فى تخصص الكيمياء وهنأه أساتذته بانبهار شديد ..

فكان بحق يوم نجاحى أنا ..

وذهبنا في اليوم التالى إلى القاعة الملكيـــة بالجامعـــة ليـــتم الاحتفال به

كان يومًا لا ينسى .. تعلمت منه كيف يكون المرء علـــى أعلى أعتاب التفوق ..

التفوق العلمى الذي يأتى نتيجة للقرب الحقيقـــى مـــن الله تعالى ورحل أخى عن المدينة عائدًا إلى جامعة حلوان فى مـــصر ليؤدى رسالته ..

رحل تاركًا منبر المسجد يئن من غيابه .. فلم يستطع أحد أن يملأ الفراغ ..

رحل أخى بعد أن دمعت أعين الجميع لرحيله .. رحل أخى بعد أن علمنى الكثير ..

وكالعادة أكتب له كلماتى البسيطة ..

أخي الحبيب ..

لازلت صديقك الوحيد ..

وأعاهدك أن أبقى صديقك الصدوق ..

لم أعانِ الوحدة منذ أن تركتنى ..

فلا يشغلنى الآن سوى رسالتى ..

١٥. على اسم مصر

(وقفة مع النفس)

كان لابد من وقفة مع النفس ..

إلى أين أنت ذاهب.؟!

ولماذا .. ؟؟!!

وما هي رسالتك .. ؟؟!!

فرغم مواجهة نفسى بتلك الأسئلة جيدًا قبل سفرى للغربة وتمرّسى على حلها كما يقول كتاب المقرر الدراسى ..

إلا أن تلك العبارة الشهيرة والمحفورة فى ذاكرتى علمتنى دائمًا الحرص والواقعية ومراجعة النفس ..

هل تذكرونها ؟!!

أن تعرف وتقرأ شيء .. وأن تعيش ذلك وتمارسه شيئًا آخر..

إنها سر فشل الكثيرين .. وسبب إخفاق الكثير من المتهورين ..

فالغربة تشبه إلى حد بعيد أسلوب اليهود في التجـــارة ..فى المولات التجارية والتى تنتشر الآن فى مصر انتـــشار النـــار في الهشيم ..

يضعون لك صنوف الأشياء من الإبرة للصاروخ .. وهـــو أسلوب رائع ..

يوفر "الشحططة" على المحلات المختلفة .. والمستفيد الوحيد من هذا الأسلوب قلة قليلة من البشر ..

ورقة صغيرة .. مكتوب فيها بمنتهى الدقة ما تحتاجه .. ١٠ دقائق ..

وتنتهي تلك المهمة ..

والنتيجة ..

توفير نصف ساعة يمكن استغلالها فى شىء آخر .. هكـــذا تبدو الصورة المثالية للجميع ..

إلا أن القادرين على تنفيذ هذه المهمة المستحيلة هم تلـــك الفئة النادرة من البشر .. أما الغالبية العظمى .. فتقع للأســـف فى فخ الأسلوب اليهودى اللعين ..

كانت تلك السيدة تنوى شراء بعض الاحتياجات البسيطة للمنزل ..

فعادت إلى المترل محملةً بعشرات الأكياس .. فهذا المنتج عليه عرض رائع ..

وتذكرت عيد ميلاد ابنتها بعد شهر من الآن فاشترت احتياجات الحفلة ..

وطفلها المدلل شبط فى ٥ أنواع من الشوكولاتة والآيس كريم والتى وضعت له بعناية فائقة فى الرفوف الكثيرة المقابلة للخزينة فلابد أن يلتفت أثناء وقوف الأم في الطابور يمينًا ويسارًا ليشاهد تلك الصنوف من الحلوى والآيس كريم ..

وفى النهاية ..

دفعت تلك البائسة نصف ميزانية الأسرة .. والهدف قبل الدخول إلى هذا "النصب" الشريف والحلال كان شراء بعض الاحتياجات البسيطة للمترل ..

ولا يلام اليهود أبدًا على هذا الأسلوب الراقى والذى ابتدعوه فى التجارة لأنه يكشف شيئين رئيسيين ..

أولاً ..

براعتهم فى التجارة ..

ثانيًا ..

استغلالهم لكل إنسان ليس لديه هدف محدد فى الحياة ..

وهكذا تفعل الغربة بالمغتربين ..

تخدعهم بكامل إرادهم .. وتبقى القلة القليلة منهم وهـــى التى حددت أهدافها من الغربة بكل دقة لتفوز منها بكل مميزاتها

دون أن تعطيها أدنى (بقشيش) !!

فيكفى ما تم دفعه على خزينة الحساب من فـــراق الأهـــل والوطن .. ومشقة الحياة .. والوحدة القاتلة ..

وشاءت إرادة الله تعالى أن أصادق فى الغربة تلك النمـــاذج الرائعة والتى فهمت لعبة الغربة من بدايتها ..

كان لابد قبل أن أعود معكم لتراب الرمل الحبيب كى نتابع الوضع المنكوس لمجتمعنا ..

أن نتفق سويًا على تلك الثوابت .. وأن ندرك تلك "الخية" الشريفة والمنصوبة لكل إنسان مغترب

إذا كانت غربتك من أجل المال .. فاعلم أنها غربـــة لـــن تنتهى إلا مع نقطة الانقلاب .. ونقطة الانقلاب على ما أذكر من منهج التفاضل والتكامل ..

هى النقطة التى يتغير عندها منحنى الدالّة من حالة الصعود

إلى حالة الهبوط .. وهى لا تحدث مع مغترب المال إلا مـــن خلال ثلاثة أسباب ..

أول تلك الأسباب هو الزوجة الوفية ..

إنسانة تتفهم قيمة الحياة فى الوطن وتـــدافع عـــن حقهـــا المشروع فى تربية أبنائهـــا داخـــل مجتمعهـــا مهمـــا كانـــت التضحيات..

فهى على درجة من الوعى تدرك به تبعات الغربة الممدودة جيدًا ..

وفى تلك الحالة تكون نعمة الله تعالى على هـــذا الإنـــسان المغترب والذى رزقه تلك الإنسانة الحكيمة ..

السبب الثانى المعتاد هو الخروج المهين ..

بمعنى ..

إنهاء خدمات المذكور أعلاه بـــدون أســـباب .. أو حـــتى بأسباب ..

أما آخر تلك الأسباب ..

فهو الاستدعاء الإجبارى للمغتـــرب نتيجـــةً للظـــروف الاجتماعية الطارئة ..

وهو ما أدعو الله تعالى ألا يكتبها على إنسانٍ في غربته ..

وبدون نقطة الانقلاب ..

يندفع المغترب من أجل المال في غربته دون نهاية ..

فالحياة الاستهلاكية تزداد مطالبها .. والمجتمع فى وطنه ينتظر قدومه مع كل إجازة

ليستعرض أمامه بأحدث أنواع الاستهلاك .. والإنسان لا يشبع ..

(لو أن لابن آدم واديًا من ذهب لتمنى أن يكون له واديان.. ولا يملأ فاه إلا التراب)

فتلك هى الحقيقة المرة .. والتي يجب أن يدركها كل شاب مغترب ..

أما الغربة الأوروبية والأمريكية .. فهى غربة الضياع الأكبر..

ولا حل لها سوى كلمة واحدة ..

الصدق ..

الصدق مع النفس هو الحبر الذي تستخدمه لتكتب به أهدافك على ورقتك الصغيرة قبل الاتجاه إلى الغربة .

فأمام الزواج والارتباط المتاح من صاحبة البلد من أجل الحصول على الجنسية المزعومة ..

وأمام فرص العمل بعد التخرج من الجامعة أو بعد الحصول على الدكتوراه ..

تقف النفس الإنسانية تبكى بكاء الأطفال عند مشاهدهم للحلوى والآيس الكريم والموضوع بجوار الخزينة في المول التجاري ..

- ماما .. شوكولاتة .. شوكولاتة وبس .. مش عايز غير شوكولاتة .. طب آيس كريم .. والله ما حطلب حاجة تانية..

ولا يملأ فاه إلا التراب .. للأسف الشديد ..

وعذرًا ..

فأمام اليورو والجنسية والاستهلاك .. والوقوع فى الوحل بعد إنجاب أطفال بلا هوية .. وأحيانًا بلا ديانة .. يصعب الرجوع .. بل يصاب الرجوع بالمرض اللعين ..

ويصل ذلك المرض اللعين كما يفعل مع أغلب المرضى إلى العظام .. والكبد .. والرئة ..

فيموت المصاب .. ويذهب الإنسان ليوارى كلمة الرجوع فى التراب ..

ويبقى هو منتظرًا قدره المحتوم ..

ليوارى ترابُ الغربة جسدَه هو في يومٍ ما ..

وفى لحظة لا أقدر على وصف أحزانها .. نعم .. كلها بلاد الله .. وكلها أرض الله ..

ولكن ما أصعب الموت فى أحضان الغربة .. كانت وقفة مع النفس ..

فأرجو ألا أكون قد أثقلت عليكم بحديثى السخيف نوعًا ما..

١٦. على اسم مصر

(أقباط مصر)

لم أكن أستطيع أن أترك سلسلة (على اسم مصر) وأسباب الغربة دون أن أحدثكم عن صديقى .. عن جاري .. عن رفيق رحلة الكفاح فى الدفاع عن مصر وعروبتها وكرامتها.

لم يكن لى أن أترك سلسلة (على اسم مصر) دون الحديث عن هذا المصرى القبطي العاشق لوطنه ..

حيث اختلطت دماؤنا في خنادق الحروب .. واختلطت أيضًا خلال رحلة العطاء

والمؤازرة المادية والنفسية فى الحياة .. وكما ارتفعت أصوات المآذن فى مصر لتعلن عن الحب الإلهى

دقت أجراس الكنائس بالمودة والتعاطف ..

إنسان بدأ يعانى من غربة داخلية جديدة على مجتمعنا .. دفعته أحيانًا للهجرة والغربة الخارجية ..

(لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومضاد له فى الاتجاه)

هكذا درسنا أساتذة الرياضيات أحـــد قـــوانين نيـــوتن.. وتطبيقاتها الشهيرة فى الحياة ..

وذلك خلال مرحلة عنق الزجاجـــة والمـــسماة بالثانويـــة العامة..

ورغم كثرة المسائل التى تناولت هذا القانون .. وبراعتى في فهمها ..

إلا أن أحد أهم تطبيقات ذلك القانون لم تتعرض لها مسائل كتب الرياضيات .. ولم تتناولها أى تحليلات ..

بل إنها ــ ومن وجهة نظرى ــ

أحد أهم تطبيقات ذلك القانون على الإطلاق فيما يخـــص نسيج المجتمع المصرى ..

لي صديق حميم .. ألماني الأصل والجنسية والانتماء طبعًا .. إلا أنه ليس بألمانى الطباع كغيره من الألمان ..

ميشائيل برناو ..

اسم تعرفه أسرتى جيدًا .. أحد خبراء الكمبيوتر بمـــدينتنا نظرًا لأنه يدرس البرمجة بجامعتى وهو أحد أقرب أصدقائى مـــن الألمان بالجامعة ..

يعرف كل كبيرة وصغيرة عن الإسلام ..

يدافع عن حقوق العرب فى فلسطين فى كل ندوة ومحفل..

يتعامل معنا كأننا إخوته ..

وسأذكر هنا قصة طريفة حدثت معى ومعه ..حيث حضر خالي لزيارتى من لندن وكان لديه بعض المشكلات على جهاز الكمبيوتر الخاص به فطلبت منه أن يترك لى الجهاز ويقوم هـــو بجولته المكوكية

عبر بعض المدن لزيارة الأصدقاء .. على أن يأتى فى اليـــوم التالى ليجد الجهاز على ما يرام ..

وعلى الفور اتصلت بميشائيل ..

- ألو يا ميخا (كما أحب أن أناديه دائمًا) إنت نمت ؟!!

- عايز إيه يا محمود .. الساعة ١٢ بعد نص الليل ؟؟

- ٥ دقايق وتكون عندى .. خالى عنده مشاكل فى جهاز الكمبيوتر بتاعه

- يعنى ماينفعش بكره ..؟؟

- لا ماينفعش .. لأنه جاي بكره وراجع مباشـــرة علـــى لندن.. فلازم الجهاز يخلص النهارده ..

وأتى ميشائيل كعادته متذمرًا من طباع العرب الفوضوية

والتي اعتاد عليها نظرًا لأنه يعلـــم أن هـــذا مـــن بـــاب "العشم" والتي أصبحت هى الأخرى من طباعه المكتسبة ..

فقد استضفناه فى مصر والإسكندرية .. وعاش هذا واقعًـــا ملموسًا دون ترجمة ..

كان عليّ أن أتركه وأنام .. نظرا لارتبـــاطي بعملـــى فى السابعة من صباح اليوم التالى ..

فمضى ميشائيل حتى الرابعة فجرًا .. ورحل إلى مترله دون أن أشعر به ..

اتصلت به في اليوم التالي وشكرته ..

هكذا مضت ولازالت تمضى علاقتنا نحن المسلمين بميشائيل صديقنا الحبيب والذي يدافع عن حقوق المسلمين بكل ما أوتى من قوة ..

وفى إحدى المرات ، وكنا نتجاذب فيها ســـويًا أطـــراف الحديث عن وضع المسلمين فى ألمانيا، وإذ بى أســـأل صـــديقي "ميشائيل برناو" سؤالاً محددًا ..

- قولي يا ميخا .. لماذا لا تسمح لنـــا الحكومـــة الألمانيـــة بالأذان ؟؟؟

- الأذان ؟؟؟؟؟؟؟؟!!! تقصد مثل الكنائس ؟!!!

مستحيل ..

- وليه بقى .. ده رأيك الشخصى ؟؟

- طبعًا

- والسبب ؟؟

-لأن ده معناه شئ واحد .. ألمانيا حتبقى مع الوقت بلـــدًا إسلاميًا .. وده أنا لا أقبله إطلاقًا ..

شوف .. انتم بتمارسوا حرياتكم داخل المـــسجد.. وأنـــا باحترمكم وبادافع عنكم دايمًا ..لـــشعورى بوقـــوع الظلـــم عليكم..

لكن ألمانيا تبقى بلدًا إسلامي .. فلا.. مستحيل .. !!!!!!!

مش حنسمح بده أبدًا ..!!!!!

وشعرت وقتها ببعض الغصة في حلقى ...

وبدأت أحلل تصرفات العرب والمسلمين فى بلاد الغرب ..

والتى تتسم بالانغلاق والتقوقع .. نعـــم .. فالمـــسلمون فى الغرب متقوقعون .. والسبب ..

هو رفض المجتمع الغربى للعقيدة الإسلامية .. لما يراه فيهـــا من سلب لحرياته وملذاته الدنيوية ..

والتقليل من شأن المرأة وحقوقها كما يدعون دائمًا ..

أما الكارثة الكبرى والتي حلت بنا نحن المسلمين .. فكانت أحداث سبتمبر المشؤومة ..

والتي ألصقت صفة الإرهابي بكل مسلم ..

ما علينا ..

أعود بذاكرتي الواهية إلى مصر ..

- ماتيجي نشتري من المحل ده ..

-لا يا عم .. أصل صاحبه مسيحي ..

لم تسمع مصر تلك الكلمات من قبل .. لم تعرف تلـــك اللغة ..

والسبب ..

جهل المسلمين بدينهم ..

(لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومضاد له في الاتجاه)

هكذا بدأ كثير من أبناء المجتمع المصري المسلم في نبذ الأقلية المسيحية ..

فكان رد الفعل تمامًا كرد فعل المسلمين في بلاد الغرب ..

التقوقع ..

الشعور بالعداء ..

إساءة الظن ..

آخر تلك المواقف حدثت معى فى أثناء أجـــازتى الأخـــيرة لمصر حيث كنت على موعد مع أحد الزملاء لقـــضاء حاجـــة لى..

وإذا به يحكى لى داخل التاكسى عن عدم رغبته في تصليح جهازه المحمول عند جارهم في الشارع لأنه مسيحى ..

ولم يكتفِ هذا الزميل المهذب بإطلاق لفظ مسيحى .. بل أضاف قبله ما أضاف من جميل النعت والصفات .. وإذابسائق التاكسي يضع الصليب على مرآه السيارة ..

وبالطبع أطربه حديث الزميل .. ولم يعلق سوى بكلمـــات معدودة ..

- كل الصفات الجميلة دى عشان هو مسيحى ؟؟!!

واغتسلت من عرقى في السيارة .. لم أجد ما أقوله ..

ولكن يأتى السؤال ..

هل يعود هذا السائق إلى بيته وهو يحمل كل الحب والـــود للمسلمين ؟؟

لا أعرف ..

ولكن الشاهد والثابت لى .. وبعد حواراتى المستمرة مـــع الألمان .. وشعورى بأنى أنتمى إلى تلك الأقليـــة الـــضالة .. والمسماة بالإرهابيين المسلمين ..

أنى أشعر بكل قبطى يعيش فى مصر .. بغض النظـــر عـــن صواب وخطأ العقيدة .. ولكنها النسبية ..

النسبية التي تحتم عليّ احترام الآخرين وعدم تجريحهم .. بل والأهم .. تذكرى الدائم لتاريخى ..

والذى أحببت خلال قراءتى لصفحاته هذا المصرى القبطى الأصيل ..

فصادقته .. وجاورته فى السكن .. وسوف أظـــل علـــى عهدى معه .. لأنه يجمعنا العشق الأزلى ..

عشق مصر ..

فلم ولن نقبل أبدًا أن يزايد أحـــد علـــى ترابطنـــا .. لأن صفحات تاريخنا العتيق كتبت بدمائنا المختلطة ..

إن مصر هي آخر فريسة يتم التجهيز لها من قبل الأعداء ..

ولا داعي للنقاش والخوض فى التفاصـــيل .. ولكـــن مـــع التحليل الدقيق والسريع للموقف يتبين الآتى ..

لم تعد لليهود رغبة فى المواجهة المباشرة ..

فسياسة "البلطجة" بدأت تؤتى ثمارها .. وبأقل التكاليف..

ودون أن تكلفهم ولو جندى واحد .. وهؤلاء "البلطجية" لاسبيل لهم لدخول مصر سوى بتأشيرة وحيدة ..

حماية الأقلية المسيحية من التعصب والعنف .. وتهليل الصحافة الأمريكية المستمر يكشف ذلك

للطفل الصغير قبل الرجل الكبير .. وها هم البلطجية فى انتظار الحصول على التأشيرة ..

ولكن أجيبونى ..

هل كل أقباط مصر عملاء ودسائس ؟؟!!

أم نحن من نساعد وجود الدسائس وعلى زيادة الشرر بسياسة النبذ والتفريق ..

و بسبب جهل الكلام والتصرفات .. هل أدركنا حقهم علينا ..؟؟

هل تعاملنا نحن المجتمع المسلم (اسمًا) مع هؤلاء الأقباط بما يأمرنا به إسلامنا ..؟؟

ولا أريد هنا الخوض في تفاصيل سلوكيات الجهلاء ..

المهم ..

تستمر علاقة صداقتى الحميمة بميشائيل برناو .. ولكنى أعلم أنه لم ولن يقبل بأن يسمع صوت الأذان ..

فأعود لحجرتى لأتقوقع .. وأشعر بالعجز لأنى من الأقلية..

ولكني لا أنسى أقباط مصر ..

وجهلنا الشديد فى التعامل معهم ..

ليس كحكومة ..

بل كمجتمع مسلم ..

١٧. على اسم مصر

(خاتمة)

مرت سلسلة (على اسم مصر) سريعًا .. فهى بداية البحث عن الداء ..

هذا إذا اعتبرنا الغربة المفتوحة داءً .. أو بمعنى أدق ..الغربة المفتوحة الأهداف ..

تناولت هنا فى هذا الكتاب صـــدمة الغربـــة الأولى بكـــل صعوبتها والأهم .. احتياج الإنسان لها ..

كي تخرجه من عالمه اللزج .. عالم الاعتياد

اعتياد الشهوة والركون والتخاذل .. اعتيـــاد العـــيش في "كعبلة" خيوط العنكبوت ..

ليخرج بروحه إلى النور .. كى يرى الله ..

يراه بقلبه .. لذا ..

فقد آثرت تسميتها منفصلة ..

(رأيت الله) ..

بعدها بحثت معكم عن أهم أسباب الغربة .. وليس كل أسباب الغربة ..

فبحثى يتركز عن الغربة المطموسة الهوية والأهداف .. وليس الغربة الشريفة الفاضلة ..

والتى تجعل الإنسان نفسه إضافة للحياة .. فكان لابد من البحث عن الهوية ..

لأن فقدانها هو نقطة البداية نحو الغربة المسعورة .. فكانت سلسلة (على اسم مصر) ..

والتى تصاعد الحديث معها إلى بحث أسبابها .. ثم رصدت لكم بعض النماذج المشرفة ..

والتى نحتت الهوية المصرية شخصياتها بمهارة فائقة .. فكانت غربتها فى حد ذاتها رسالة مشرفة ..

وانتهيت بحديثى إلى غربة المصرى القبطى فى وطنه والتى قد تؤدى به أيضًا إلى الغربة الخارجية المفتوحة ..

إلى هنا ..

انتهى حديثى فى هذا الكتاب ..

كى أعطى إشارة البدء للجزء الثانى ..

وهو بحث طويل فى الجــذور .. جــذورنا المتهالكــة .. وجذورنا الثابتة القوية ..

الجذور هى مصدر غذاء النبات كله وأىّ خلل فى نشأتها ..

هو إعلان رسمى بانتهاء حياة النبات كلــه .. حـــتى وإن كانت شجرةً عظيمة ..

فهل تستمرون معى بأنفاس طويلة ولياقة عالية .. فى رحلة البحث الشاقّ ..

عن الجذور ..

فلنكمل إذن الرحلة سويًا فى الجزء الثانى مـــن الكتـــاب .. رحلة وريقات من مذكرات مصرى مغترب ..

وسلسلة (الجذور) ..

للتواصل مع الكاتب

woraiqat@yahoo.com
mahmoudrashad@yahoo.com

الفهرس